الجمهوريـــة الجزائـــريـــة الديمقراطيـــة الشعبيـــة
République Algérienne Démocratique et Populaire
وزارة التعليـــــم العالـــي والبحـــث العلمـــي
Ministère de l'Enseignement Supérieur et de la Recherche Scientifique

المركز الجامعي لميلة

المعهد: الآداب واللغات
القسم: اللغة العربية

المرجع:.....

الملكة التبليغية بين "ابن خلدون" و"تشومسكي"

مذكرة معدة استكمالا لمتطلبات نيل شهادة الماستر

الشعبة : لغويات **التخصص : علوم اللسان العربي**

إعداد الطالب(ة):
آمنة حمودة

إشراف الأستاذ(ة):
عبد الحميد بوفاس

السنة الجامعية : 2013/2012

بسم الله الرحمن الرحيم

شكر وإهداء

الحمد لله الذي يسر ووفق في إتمام هذا البحث وبعد:

أتقدم بخالص الشكر وفائق الاحترام والتقدير إلى الأستاذ المشرف:
''عبد الحميد بوفاس''

إلى كل من ساعدني في إنجاز البحث من قريب أو من بعيد

إلى جميع دكاترة وأساتذة قسم اللغة العربية وآدابها.

وأهدي ثمرة جهدي المتواضع إلى من حملتني وهنا على وهن إلى الغالية ''أمي''

وإلى الذي علمني المبادئ والقيم إلى الغالي ''أبي''

إلى أصدقائي وزميلاتي وإلى كل من يعرفني.

مقدمة

مقدمة:

إن الحديث عن اللغة يفرض علينا التطرق إلى جوانبها المتعددة، وعلاقاتها الكثيرة مع بقية العلوم، التي صاغها الإنسان من منطلق انفراده بالخاصية العقلية واللسانية، وهذا ما جعله قادرا على بناء مجتمعات تربطها علاقات كثيرة. يتم التقارب والتواصل فيها من خلال اللغة، التي تحقق هذا الترابط.

وباعتبار الإنسان كيانا عاقلا يتميز بجملة من القدرات الذهنية والفيزيولوجية، التي تؤهله لأن يكون المالك الوحيد للغة بدون منازع، لذا كانت الملكة اللسانية لصيقة بالوجود البشري، ومحط أنظار الباحثين والدارسين في المجال اللغوي حيث أخذت أهمية بالغة. فقد عكف اللغويون على دراستها منذ القديم وإلى يومنا هذا، في إطار ما يعرف باللسانيات المعاصرة، التي تناولتها بالبحث والدراسة كخاصية إنسانية تجعله قادرا على التبليغ في مواقف معينة. وأعطت للملكة مفاهيم وربطت بينها وبين الاكتساب اللغوي، حتى أن بعض الدارسين جعلوا منها أساسا لكل فعل يقوم به الإنسان. لكنهم من جهة أخرى لم يتناولوا الملكة من الناحية التبليغية.

وعلى هذا الأساس يطرح إشكال مفاده: كيف كان ينظر اللغويون إلى الملكة اللسانية؟ وخاصة "ابن خلدون" و"تشومسكي" باعتبارهما صاحبا فكرة الملكة اللسانية. وهل تحدثا عن الملكة التبليغية؟ انطلاقا من أن الوظيفة الأساسية للغة هي التبليغ والتواصل.

والهدف من هذه الدراسة هو معرفة مصطلح الملكة اللسانية، ثم معرفة دورها في الجانب التبليغي والتعليمي. والوصول إلى نتائج دقيقة تساعد على توسيع دائرة البحث اللغوي في التراث العربي، في مقابل ما وصلت إليه اللسانيات الحديثة بالدراسة.

ومن الدراسات التي تناولت موضوع الملكة اللسانية نجد من أهمها، كتاب "الملكة اللسانية عند "ابن خلدون" لـــ "ميشال زكريا" وكتاب "المقدمة" لـــ "ابن خلدون" ومقال بعنوان "التفكير اللساني عند ابن خلدون وعلاقته بعلم العمران" لـــ "عمر لحسن"، ومقال آخر بعنوان "الملكة اللسانية عند ابن خلدون فيما دعي بالمقدمة" لصاحبه "عبد البديع النيرباني" وغيرها من الكتب والمقالات التي خدمت البحث وأثرته، لما احتوت عليه من مادة بناءة.

وخلال إنجاز البحث اتبعت المنهج الوصفي التحليلي مدعما بالمنهج المقارن، وذلك لمعرفة التقاربات بين "ابن خلدون" و"تشومسكي" في موضوع الملكة.

وقد جاء البحث في ثلاثة محاور أساسية متمثلة في أربعة فصول تتصدرهم مقدمة وفي آخرهم خاتمة، ففي المقدمة تحدثتُ عن أهمية الموضوع وأهم الإشكاليات التي يطرحها البحث، لتحقيق الأهداف المرجوة من هذه الدراسة.

والفصل الأول كان تحت عنوان: ظواهر اللسان وآليات التبليغ من منظور اللسانيات، وتطرقت فيه إلى جملة من المصطلحات الخاصة بالتبليغ.

والفصل الثاني المعنون بـــ: مصطلحات لسانية عند "ابن خلدون"، وتناولت فيه نظرة "ابن خلدون" لعلوم اللسان من خلال مختلف المصطلحات التي تناولها.

أما الفصل الثالث الذي عنونته بـــ: مصطلحات لسانية عند "تشومسكي"، مستعرضة فيه أهم المصطلحات التي جاءت بها النظرية التوليدية التحويلية وأهمها مصطلح الكفاية اللغوية.

وبالنسبة للفصل الرابع: فكان عبارة عن مقارنة بين ما جاء به "ابن خلدون" و"تشومسكي" خاصة ما تعلق بالملكة اللسانية، لذلك جاء عنوانه موسوما بـــ: بين "ابن خلدون" و"تشومسكي" –رؤية مقارنة– .

والخاتمة: تضمنت جملة من النتائج التي أفرزها البحث.

وبناء على الوصف السابق جاءت الخطة مفصلة على النحو الآتي:

- مقدمة.
- الفصل الأول: ظواهر اللسان وآليات التبليغ من منظور اللسانيات.
  - في حقيقة اللغة وعلاقتها بالإنسان.
  - التواصل (الاتصال) وعوامله.
  - وظائف اللغة (اللسان).
  - نظرية التواصل (التبليغ).
  - نظرية السياق.
- الفصل الثاني: مصطلحات لسانية عند "ابن خلدون".
  - ابن خلدون وعلوم اللسان.
  - علاقة اللغة بعلم العمران.
  - تعريف اللغة عند "ابن خلدون".
  - الملكة عند "ابن خلدون".
  - تعلم واكتساب العربية عند "ابن خلدون".
  - أنواع الملكات بحسب التعلم والاكتساب.
- الفصل الثالث: مصطلحات لسانية عند "تشومسكي".
  - تشومسكي والنظرية التوليدية التحويلية.
  - مبادئ النظرية التوليدية التحويلية.
  - مفاهيم لسانية في نظرية "تشومسكي" اللغوية.
  - الفصل بين الكفاية اللغوية والآداء الكلامي.
  - الاكتساب اللغوي عند "تشومسكي".
- الفصل الرابع: بين "ابن خلدون" و"تشومسكي" –رؤية مقارنة–.

- التوليدية التحويلية بين "تشومسكي" والتراث اللغوي العربي.
- بين "ابن خلدون" و"تشومسكي" –مقاربة وتقييم–.
- الكفاية (الملكة) التواصلية.

- خاتمة.
- ملخص الرسالة.
- قائمة المصادر والمراجع.
- الفهرس.

وأثناء القيام بهذه الدراسة واجهتني جملة من الصعوبات أهمها: ضيق الوقت المخصص لإنجاز هذا البحث بالإضافة إلى العجز في تحصيل المراجع الأجنبية، التي لها علاقة بالبحث وتخدمه، وهذا ما عرقل السير الحسن للبحث.

وفي الأخير لا يفوتني إلا أن أتقدم بجزيل الشكر والعرفان إلى كل من حبب إلي البحث، وكان العون الدائم في إنجازه وأخص بالذكر الأستاذ المشرف، فلهم مني جميعا جزيل الشكر والامتنان، ولهم من الله غاية الأجر والإحسان، وأسأل المولى العلي القدير باسمه الأعظم أن يجعل عملي هذا خالصا لوجهه الكريم، وأن ينفع به طلاب العلم، وأن تفتح دراستي المتواضعة آفاقا جديدة للبحث في هذا الجانب، وجوانب أخرى لها علاقة بالبحث، وما كان من توفيق فمن الله وما كان من خطأ أو سهو فمني ومن الشيطان، وصلى الله على سيد الخلق محمد بن عبد الله، وعلى آله وصحبه ومن والاه.

الفصل الأول: ظواهر اللسان وآليات التبليغ من منظور اللسانيات.

1- في حقيقة اللغة وعلاقتها بالإنسان.

2- التواصل (الاتصال) وعوامله.

3- وظائف اللغة (اللسان).

3-1- وظيفة إخبارية.

3-2- وظيفة بيانية.

3-3- وظيفة خطابية.

3-4- وظيفة تواصلية توصيلية.

3-5- وظيفة تحقيقية.

3-6- وظيفة جمالية.

4- نظرية التواصل (التبليغ)

4-1- تعريف التواصل.

4-2- التواصل اللغوي الاجتماعي.

4-3- اللسان أداة تبليغ.

5- نظرية السياق.

5-1- تعريف السياق.

5-2- تعريف المقام.

5-3- المقام في ضوء اللسانيات.

1- في حقيقة اللغة وعلاقتها بالإنسان:

لما كانت اللغة هي الرابط الوحيد الذي يصل بين عالمين مختلفين في طبيعتهما ، هما علما الأجسام والأذهان، وكانت دليلا يستدل به على الواقع وأمارة على إنسانية الإنسان العاقل، عني بها كثير من العلماء قديما وحديثا عربا وعجما فدرسوا طبيعتها ووظيفتها الاجتماعية، وعلاقتها بالنفس البشرية.

فالمتحدث في قضية اللغة ومهما كان منهجه ومبتغاه، يحيلنا مباشرة إلى قضية نشأتها وتطورها، وعلاقتها بالإنسان، والمتأمل في تراث الفكر العربي يدرك أن الحد المميز للإنسان لا يتخصص إلا بدخول عنصر اللغة فيه، ولا يكاد يخلو تعريف للإنسان سواء على نهج الفلاسفة والمتكلمين، أو على طريقة الأدباء واللغويين إلا وقالوا بأنه "الحيوان الناطق" ويكون النطق أو الكلام بذلك جوهر الإنسانية في الإنسان، أو عنصر التمييز في البشر، لذلك « يلح المنظرون على سمة الإنفصال بين الحيوانية والإنسانية ابتداء من الحدث اللساني».[1]

وقد خص الجاحظ الحيوان بموسوعة من التأليف حيث أخرج من حده من ليس منه وهو الآدمي فقال «الفصيح هو الإنسان».[2]

والواضح أن العلاقة بين الإنسان واللغة هي علاقة اقتضاء الطبع لذلك، لا مجرد عارض وإتقان، والإنسان في كينونته الجوهرية الطبيعية موجودة متكلم فهو مهيأ طبيعيا للكلام والنطق[3]، وهذا ما سماه "ابن جني" «بقابلية النفوس».[4]

وانطلاقا من التأكيد على أن النوع الإنساني لا يوجد إلا وهو متكلم يخلص إلى تقرير أن مبتدأ اللسان هو متطابق مع مبتدأ نشأة الوجود البشري إطلاقا، وكما أنه لا سبيل

---

(1) : عبد السلام المسدي: التفكير اللساني في الحضارة العربية، ط3، دار الكتاب الجديد المتحدة، 2009م، ص 62.
(2) : أبو عثمان عمرو بن العلاء الجاحظ: الحيوان، تحقيق عبد السلام محمد هارون، ط2، المطبعة الأميرية، القاهرة، 1995م، ج1، ص 32.
(3) : عبد السلام المسدي: التفكير اللساني في الحضارة العربية، ص 64.
(4) : عثمان ابن جني: الخصائص، تحقيق محمد علي النجار، ط2، دار الكتب المصرية، القاهرة، 1952م، ج1، ص 92.

إلى وجود الإنسان بلا كلام، فكذلك لا سبيل إلى وجود كلام بلا إنسان، لأن «الكلام حروف مؤلفة، والتأليف فعل فاعل ضرورة لابد له من ذلك».[1]

إن أول ما يطالعنا من مستخلصات تفكير الحضارة العربية، في هذا المضمار تحديدا، اعتبار أن اللغة في يد الإنسان مفتاح يلج به العالم الخارجي، بل هي المفتاح الوحيد الذي يتوصل به البشر إلى اقتحام الكون من حولهم، وهي بذلك المَعْبَرُ أو الجسر الفريد الذي يتحاور بفضله الإنسان مع الوجود ليتفاعل معه.[2]

وقد خص "ابن خلدون" ملكة تأليف الكلام على مقتضى أساليب العبارة وقوالب اللسان، فينتهي إلى أن اهتداء الإنسان إلى تركيب طبقات الكلام على المقاصد والأغراض هو الذي يحرره من القيود الطبيعية التي تحوطه، معنى ذلك أن البعد اللغوي هو محرر الإنسان من السكون إلى الحركة، طالما أن الكائن بدون كلام «كالمقعد الذي يروم النهوض ولا يستطيعه لفقدان القدرة عليه».[3]

وفي المنتوج الفكري العربي القديم نجد الجاحظ يتصرف في عبارة الفلاسفة التي يحددون بها الإنسان ليضيف إلى كونه الناطق أنه المبين.[4]

إن قضية نشأة اللغة تحيلنا مباشرة وبالضرورة إلى أصل الوجود الإنساني، فالكثير من المفكرين يغفلون عن هذا الارتباط العضوي التلازمي، مع العلم أنه إذا لم تقدم فرضية جازمة في أصل نشأة الإنسان، فلن يتسنى بسط احتمال مرجح في أصل نشأة اللغة.[5]

ولا يكاد يوجد تفكير بشري تطرق إلى القضية اللغوية من قريب أو بعيد، إلا وقد أثار مشكلة نشأة اللغة، ويستعرض "عبد السلام المسدي" منهج الدارسين على أنه قد تقيد بالتحليل المباشر، والوصف الاستعراضي فلم يستوعب البحث على أيديهم أبعاد القضية

(1) : عبد الرحمان ابن خلدون: المقدمة، ضبط وشرح وتقديم محمد الاسكندري، ط2، دار الكتاب العربي، بيروت، 1419هـ، 1998م، ص 524.
(2) : عبد السلام المسدي: التفكير اللساني في الحضارة العربية، ص 78.
(3) : ابن خلدون: المقدمة، ص 529.
(4) : الجاحظ: البيان والتبيين، تحقيق عبد السلام محمد هارون، ط3، المطبعة الأميرية، القاهرة، 1968م، ج1، ص 170.
(5) : عبد السلام المسدي: التفكير اللساني في الحضارة العربية، ص 76.

بصفة شمولية، وأهم ما يوجه إلى هذه الدراسات من مآخذ يتمثل في نقطتين أساسيتين: أولهما ذات صلة بالمضمون، فقد حصر الباحثون قضية الحال في ثنائية بدت لهم بديهية انطلاقا من ظاهر النصوص، وهي ثنائية الإصطلاح والتوقيف، وهاتان النظريتان وإن سادتا فعلا بعض الجوانب من التفكير العربي، فإنهما لم تنفردا بالمطارحة الكلية في شأن مبتدأ اللغة، وأصل نشأتها. [1]

وتتمثل الثنائية في مأخذ منهجي يتصل هو الآخر بجانب مبدئي، ويخص صبغة الاستعراض التي دأب عليها الباحثون دون استبانة الموقف الأصلي المحرك لكل المظاهر التي تبدو متباينة في أول نظرة لها فحسب.[2]

وإذا كانت معظم التأملات ترتكز على نشأة اللغة، وعلى روابط اللغة بالإنسان في وجوده الفردي، فإن الفكر اللغوي في التراث العربي قد عنى أيما عناية بتحويل قيم الظاهرة اللغوية من الوجود الفردي إلى الوجود الجماعي في المجتمع الإنساني.[2]

فاللغة أداة التواصل الاجتماعي، وبدون اللغة لا يمكن للفرد أن يعبر عن أفكاره ومشاعره، كما أنه لا يمكن أن يبلغ أغراضه وحاجاته التي يريد الوصول إليها، وانطلاقا من هذه النقطة اكتست اللغة أهميتها لذا أخذت تعاريف عدة.

ولا يخلو تعريف للغة، إلا وقد أشار صاحبه إلى الجانب التواصلي أو التبليغي فيها، مع العلم أن مصطلح لغة «مأخوذ من الكلمة اليونانية LOGOS ومعناها: كلمة كلام لغة، وقد دخلت هذه الكلمة إلى العربية في وقت مبكر وصارت شيئا فشيئا محل كلمة لسان».[3]

وإذا كانت جل المفاهيم حول اللغة تركز على الجانب التواصلي فيها، حتى قامت نظرية بأكملها تسمى نظرية التواصل، فإن اللسانيين المحدثين استخلصوا وظائف أخرى للغة انطلاقا من العامل التواصلي في اللغة، وقد حصرها اللساني الأمريكي "ريمون

[1] : عبد السلام المسدي: التفكير اللساني في الحضارة العربية، ص 74، 75.
[2] : المرجع نفسه: ص 75.
[3] : محمود فهمي حجازي: علم اللغة العربية، (د ط)، وكالة المطبوعات، الكويت، (د ت)، ص 312.

جاكبسون" في ست وظائف، هذا الأخير الذي عمل على تدعيم اللسانيات البنيوية كاتجاه جديد في دراسة اللغة دراسة علمية موضوعية.[1]

وفيما يلي سنتعرض لعوامل الاتصال بدأ بالمرسل وانتهاء عند المتلقي، وكل ما يحيط ويساهم في عملية التواصل، ثم سنأتي بعد ذلك إلى بسط وظائف اللغة كما حددها "جاكبسن".

2- التواصل (الاتصال) وعوامله:

يقوم التواصل أو الاتصال على تحليل العوامل المكونة لكل اتصال بين شخصين يتم بواسطة اللغة، ومن ثم يمكن التعرف على الوظيفة اللسانية لكل عامل من هذه العوامل، وعوامل التواصل الرئيسة هي[2]:

- المُرسل: وهو الشخص الذي يتكلم أو يكتب.
- المتلقي: وهو الشخص المُخَاطب؛ المستمع أو القارئ أو المرسل إليه.
- السياق: المرجع أو الموضوع الذي يتحدث عنه المُرسل.
- الرسالة: وهي المادة المنطوقة أو المكتوبة التي يبعث بها المرسل.
- القناة: أي قناة الاتصال، وهي الوسط الذي سمح فيزيائيا بقيام الاتصال واستمراره.
- الشفرة: أي شفرة الاتصال، وهي القواعد المشتركة بين المُرسِل والمتلقي التي يتم بموجبها إرسال الرسالة وتفسيرها واستيعابها.

(1) : التواتي بن التواتي: مفاهيم في علم اللسان، دار الوعي للنشر والتوزيع، (د ط)، 2008م، ص 49.
(2) : علي القاسمي: علم المصطلح أسسه النظرية وتطبيقاته العملية، ط 1، مكتبة لبنان ناشرون، بيروت، 2008م، ص 54.

3- وظائف اللغة (اللسان):

على أساس العوامل السابقة المكونة لعملية الاتصال تقوم عدة وظائف للغة، وقد بين "جاكبسون" الأغراض العامة، التي يمكن للسان أن يعبر عنها في ستة أصناف أو وظائف هي:

3-1- **وظيفة إخبارية أو إعلامية:** (Expression) أو (الافهامية)، ومهمة اللسان في ذلك، هو نقل المعلومات الموضوعية لا غير.[1]

فعندما يتحدث المُرسِل ليبلغ المتلقي شيئا أو يخبره به أو يعرفه عليه، يستخدم عادة جملا خبرية مثل: وصل المهندس الجديد، وتلحق بها الجمل الاستفهامية التي تستفسر عن خبر ما مثل: هل وصل المهندس الجديد؟ ووظيفة اللغة في هذه الحالة هي التبليغ أو الإخبار عن شيء ما، والمعيار هنا هو الحقيقة، لأن الجمل الخبرية تحتمل الصواب والخطأ.[2]

3-2- **وظيفة بيانية (الإنشائية):** والغرض منها هو التعبير عن مختلف المشاعر، ولها في ذلك عدة طرق، وذلك للتأثير في المخاطب.[3]

ففي هذه الحالة لا يتحدث المرسل ليخبر أحدا بشيء ما، وإنما ليعبر عن ذاته وانفعالاته، وتتجلى الوظيفة البيانية أو التعبيرية للغة في أوضح صورها في اللغة المنطوقة بصيغ التعجب أو الغضب أو الألم، والمعيار هنا ليس صواب الخبر أو خطاه، وإنما صدق المُرسل في التعبير عن كذبه أو انفعالاته النفسية.[4]

3-3- **وظيفة خطابية (Conative):** أو الشعرية (Poetique) أو (الانفعالية)، والغرض منها في ذلك هو إثارة ردود أفعال وجدانية معينة عند السامع، فمثلا: الخطيب يريد

---

(1) : التواتي بن التواتي: مفاهيم في علم اللسان، ص 50.
(2) : علي القاسمي: علم المصطلح أسسه النظرية وتطبيقاته العملية، ص 55.
(3) : التواتي بن التواتي: مفاهيم في علم اللسان، ص 50، 51.
(4) : علي القاسمي: علم المصطلح أسسه النظرية وتطبيقاته العملية، ص 55.

الإقناع، والإقناع لا يقع إلا بالحجج العقلية فحسب بل في الغالب بإثارة خالجة نفسية بحجج عاطفية، لكي يكون إقناعا مقرونا بالعاطفة فالحجة العقلية يخضع لها كل الناس، أما الحجة العاطفية إذا كانت تدل على الخير والفضيلة، فالذي يحب من الناحية الأخلاقية هو الذي يتأثر بما في الكلام من حث على الفضائل.[1]

وعلم التربية أساسه هذان النوعان من الوظائف، ونقصد الوظيفة البيانية والخطابية، ولا يمكن التبليغ إلا إذا مزجنا بشيء من العاطفة، إذ الطفل كله وجدان، وأي عاطفة إذا تجردت من ذلك ربما لا يتأثر بها إطلاقا.[1]

فعندما تكون الرسالة غاية في ذاتها بصرف النظر عن مضمونها، فإن وظيفة اللغة هنا شعرية، لأن اللغة تستخدم من أجل اللغة ذاتها، حتى إن كان الشخص يخبرنا عن شيء أو يعبر عن انفعالاته أو يوعز إلينا بأمر ما، فإن أهمية الرسالة تكمن في الرسالة ذاتها، بحيث يصبح الدال أهم من المدلول.[2]

3-4-**وظيفة تواصلية توصيلية:** أو انتباهية (Photique): مهمة اللغة في هذا إثارة الاستماع؛ أي التأكد من أن السامع لم تنقطع صلته بالمتكلم أو الإعلام بانتهاء الحديث.[3]

فعندما يلتقي شخصان يعرف أحدهما الآخر يتبادلان السلام، فيقول أحدهما للآخر: كيف حالك؟، فيجيب الآخر: الحمد لله. وليس المقصود من هذه الأسئلة الحصول على تقرير طبي دقيق عن صحة المُخَاطَب، وإنما الهدف منها إقامة التواصل وإدامته مع الآخر ويسمي "جاكبسون" هذه الوظيفة بالوظيفة القولية للغة.[4]

3-5- **وظيفية تحقيقية (Métalangage):** للسان أو اللغة وسيلة يمكن أن نستعملها للتحقيق في ذات هذه اللغة، فإذا لم يفهم المستمع يطلب من المتكلم إعادة الكلام أو

---

(1) : التواتي بن التواتي: مفاهيم في علم اللسان، ص 51.
(2) : علي القاسمي: علم المصطلح أسسه النظرية وتطبيقاته العملية، ص 55.
(3) : التواتي بن التواتي: مفاهيم في علم اللسان، ص 51.
(4) : علي القاسمي: علم المصطلح أسسه النظرية وتطبيقاته العملية، ص 55.

الاستفسار عن المعنى الذي يقصده بكلمة، فهناك أداة تحقيقية عن داخل اللغة يسلطها على اللغة.[1]

وتظهر هذه الوظيفة في الرسائل التي تكون فيها اللغة مادة للدراسة فتعمل على وصف اللغة، وذكر عناصرها وتعريف مفرداتها، إنها وظيفة كلام اللغة عن اللغة نفسها.[2]

فالرسالة إذا كانت تحمل معلومات تتعلق بالقواعد الواجب اتباعها لفهم لغة الرسالة، فإننا في هذه الحالة نستعمل اللغة للحديث عن اللغة ذاتها، وليس عن أي موضوع آخر ويسمي "جاكبسون" هذه الوظيفة بالوظيفة الواصفة للغة، في حين يسميها "روبول" "بالوظيفة فوق اللغوية".[3]

3-6- **وظيفة جمالية (Ecthetique):** فائدتها بلاغة العبارة ورونقها وطلاوتها؛ أي جمالها، وللسان أو اللغة من الإمكانات البلاغية ما لا يقل عن الإمكانات الجمالية التي تملكها الوسائل التبليغية الأخرى، فالشاعر مثلا ينظم منظومته للتلاعب، يريد بذلك أن يصنع بالكلام شيئا جميلا يتعجب منه الناس، وأصل هذه الوظائف هو النقل للمعلومات وكل ما عداه ففرع منه.[4]

هذه الوظائف الست للغة موجودة في كل كلام، وهي وظائف متراتبة مترابطة تخضع كل وظيفة منها لغيرها، ودرجات ظهورها متفاوتة في أنماط الكلام المختلفة، فالكلام العادي مثلا تطغى فيه الوظيفة الإخبارية (الإفهامية)، بينما تطغى الوظيفة البيانية

---

(1) : التواتي بن التواتي: مفاهيم في علم اللسان، ص 51.
(2) : نعمان بوقرة: اللسانيات واتجاهاتها وقضاياها الراهنة، ط1، عالم الكتاب الحديث، 1430هـ، 2009م، ص 67.
(3) : علي القاسمي: علم المصطلح أسسه النظرية وتطبيقاته العملية، ص 56.
(4) : التواتي بن التواتي: مفاهيم في علم اللسان، ص 52.

(الإنشائية) في الكلام الأدبي، وتطغى الوظيفة الخطابية (الإنفعالية) في الكلام الأدبي العاطفي.[1]

4- نظرية التواصل (التبليغ):

4-1- **تعريف التواصل:** ليس من السهل العثور على تعريف جامع مانع -مثلما يقول فلاسفة المنطق- للإتصال، إلا أن اللغويين أدلوا بدلوهم في هذه المسألة فقيل: التواصل هو تبادل الكلام بين متكلم ينتج ملفوظا أو قولا مخاطبا به متكلما آخر، أو مستمعا يريد الاستماع والحوار، وذلك تبعا للنموذج اللفظي الذي صدر عن المتكلم، فالتواصل خبر ينقل من نقطة إلى أخرى بوساطة رسالة قابلة للتحليل والاستيعاب والفهم، والوسيط قد يكون وسيلة سمعية أو بصرية أو إلقاء مباشر أو مدونة أو صحيفة دورية أو كتاب...إلخ.[2]

وفي الواقع أن هذا التعريف يقيم جسرا بين اللغة ونظم الإتصال الأخرى: كالصورة، والمؤثر الموسيقي، والألوان وما يلزم الفيلم من حركة، والنشرة الدورية من أشكال ورسوم توضيحية.[3]

وينسحب موضوع الإتصال على إطلاع مجموعة لغوية ما على إرث مجموعة أخرى وتجاربها بكل ما فيها من تنوع وعمق، مع أن المجموعتين مختلفتان بيئة وعصرا، وكدليل على ذلك: « تواصلنا مع العرب الجاهليين والإسلاميين بوساطة المدونات والنصوص التي وصلت إلينا من عصرهم، وهي كلام مكتوب أو مدون ينوب عن أولئك الناس الذين يمثلون بالنسبة لنا نحن القراء دور المتكلم الذي ينشئ اللغة ليخاطب بها الآخر، والشيء نفسه هو ما نقوم به عندما نطلع على كتابات الشعوب الأخرى كالإغريق والرومان والمصريين القدماء أو البابليين أو الفرس، مع شرط القدرة على التعامل مع

---

[1] : محمد عزام: الأسلوبية منهجا نقديا، (د ط)، مطابع وزارة الثقافة، دمشق، 1989م، ص 118.
[2] : إبراهيم خليل: مدخل إلى علم اللغة، ط2، دار المسيرة للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، 1430 هـ، 2010م، ص 27، 28.
[3] : المرجع نفسه: ص 28.

الإشارات التي استعملت في تدوين ذلك الإرث أو بعد ترجمته إلى إحدى اللغات المعروفة». [1]

ويختصر بعضهم تعريف التواصل فيقول: « التواصل لا يغدو أن يكون تمريرا لفكر من شخص لآخر أو من زمن لآخر، أو من مكان لآخر بوسيط، وخير الوسائط وأقدرها على الوفاء بهذه المهمة هي اللغة، مع عدم التقليل من منزلة ومكانة النظم الإتصالية الأخرى». [2]

ويستلزم التحديد الدقيق لمهام الاتصال اللغوي مع الشعوب المختلفة وجود رؤية واضحة، وبعيدة المدى لتطوير البنى الأساسية الاجتماعية والاقتصادية والسياسية والثقافية والتربوية، وذلك للمجتمع الذي تخاطبه. على أن تتسم هذه الرؤية بالشمول والتنوع ووضوح المعالم.[3]

4-2- **التواصل اللغوي الاجتماعي:** من المميزات التي تتميز بها لغة الإنسان عن نظم الاتصال الأخرى، أنها ظاهرة اجتماعية مع أنها تظهر في الكلام الفردي الذي يعد ظاهرة فردية، وهذا ما أكده "دوسوسير" بقوله أن الكلام فردي بينما اللغة مكون اجتماعي، غير أن "فيرث" صاحب النظرية السياقية يأبى ما ذهب إليه "سوسير" مؤكدا أن الكلام كاللغة اجتماعي لا فردي، فكلاهما في رأيه يؤدي وظيفة تواصلية توثق العلاقات، وتحقق التعاون بين الشخص والآخر، ولا نستطيع فهم الكلام-أحيانا-، إلا إذا نظرنا إليه من منظور اجتماعي، آخذين بعين الاعتبار كيف اعتاد الناس أن يفهموا هذه الكلمة أو هذه العبارة، وكيف يستجيبون لها، والتواصل الإنساني في واقع الأمر يجمع بين الكلام الفردي واللغة باعتبارها خاصية اجتماعية.[4]

---

[1] : إبراهيم خليل: مدخل إلى علم اللغة، ص 28.
[2] : عبد الجليل مرتاض: اللغة والاتصال، ط1، دار الحكمة للنشر والتوزيع، الجزائر، 2001م، ص 78، 79.
[3] : رشيدي أحمد طعيمة، ومحمد كامل الناقة: اللغة العربية والتفاهم العالمي، المبادئ والآليات، ط1، دار المسيرة، عمان، الأردن، 1430 هـ، 2009 م، ص 37، 38.
[4] : إبراهيم خليل: مدخل إلى علم اللغة، ص 38.

وعليه فاللغة ليست معطا منفصلا عن المجتمع الذي نعيش فيه، وإنما هي ذات صلة وثيقة بالظاهرة الاجتماعية، عنها تنشأ وإلى حاجات التواصل بين أفرادها تستجيب، وتتوقف طبيعة الاتصال اللغوي في ضوء ذلك على الظروف التي يمر بها كل مجتمع على حدة، ويختلف دوره باختلاف السياق المحيط به، وبمعنى آخر لا توجد وصفة جيدة ووحيدة للاتصال اللغوي تناسب أبناء الثقافات الأخرى في جميع البلدان التي يقيمون فيها، فما يناسب هؤلاء في إنجلترا لا يناسب هؤلاء في فرنسا، وقد لا يناسب من في اليابان...وهكذا.[1]

وإلى جانب أن اللغة وسيلة للاتصال أو التواصل، فهي كذلك وسيلة لا غنى عنها لاكتساب السلوك المقبول اجتماعيا، فعندما يكتسب الطفل لغته الأم لا يكتسب النطق وحده، واستعمال القاعدة النحوية أو إضافة زوائد صرفية للكلمة، ولكنه أيضا يكتسب معها بعض العادات والتقاليد التي ينبغي عليه أن يراعيها في الكلام. وبهذا الجانب الاجتماعي تتأثر اللغة كثيرا، وهذا التبادل الواضح في التأثر والتأثير هو موضوع علم اللغة الاجتماعي Socio-Linguistics، فنجاح الفرد في استخدام لغته لا يتوقف على الاكتساب وحده، ولا على كيفياته الفسيولوجية والنحوية وثروته الكبيرة أو المحدودة من الألفاظ، ولكن ذلك يتوقف أيضا على مراعاة آداب الحديث، وإتباع الأسلوب المناسب للموقف والمخاطب والموضوع.[2]

ولقد ميز "أحمد المتوكل" ثلاث درجات من التواصل أدناها التواصل الممتنع وأقصاها التواصل السليم يتوسطهما التواصل المضطرب وهي على النحو الآتي:

إن المقصود بالتواصل الممتنع هو: « التخاطب المحض غير المفضي إلى تفاهم لأسباب مختلفة كالتشويش في قناة التخاطب، عدم فهم المخاطب للغة المتكلم، أما التواصل المضطرب هو التواصل الذي يشوبه شائب يكون إما عرضيا يعمل على رفعه أو مرضيا

(1) : رشيدي أحمد طعيمة، ومحمود كامل الناقة: اللغة العربية والتفاهم العالمي، ص 37، 38.
(2) : إبراهيم خليل: مدخل إلى علم اللغة، ص 62.

ملازما لأحد المشاركين في عملية التخاطب، والتواصل السليم هو التواصل الذي يستوفي جميع شروط الفهم والإفهام، وللتواصل السليم مراتب أعلاها ما نسميه "التواصل الأمثل"، ونقصد به التواصل الضامن لتبليغ القصد والفحوى بأوضح وسائل التعبير».[1]

فالتواصل الأمثل في مصطلح نحو الخطاب الوظيفي « هو التواصل الذي يحرز حين تعكس البنيات الصرفية التركيبية والفونولوجية تماما البنية التحتية بنسقيها العلاقي والتمثيلي، "فالتواصل الأمثل" إذن هو التواصل الذي يحرز أكبر قدر من شفافية الإنعكاس».[2]

4-3- **اللسان أداة تبليغ:** تلك هي وظيفته الأصلية، أما غيرها من الوظائف ففرع عنها وبعملية التبليغ تتبلور وتتحدد الأفكار والمعاني بعد أن كانت مجرد أحاسيس، فاللغة ذات طابع حيوي بالإضافة إلى كثرة استعمالها في التخاطب اليومي العفوي، وإذا انحصر استعمالها في بعض المناسبات كالخطابات والمحاضرات والنشرات الإخبارية، وغيرها من المواقف الرسمية، انقطعت عن الواقع المعيش في أكثر مظاهرها، وصارت لغة هامشية عاجزة عن تأدية الكثير من مفاهيم الحياة.[3]

وتعتبر اللغة المنطوقة هي الأصل، ولغة التحرير فرع عليها فالمنطوق أولا ثم المسموع فالكلام المنطوق هو المنبع الأول الذي يستقي منه الإنسان، وخصوصا الطفل والأمي والمواطن والمغترب مقاييس اللغة والمادة الإفرادية، وقد ألح العلماء على أهمية المشافهة والسماع، وأن اللغة أصوات مسموعة قبل أن تكون مكتوبة، وأن الخط تابع للفظ.

---

(1) : أحمد المتوكل: اللسانيات الوظيفية المقارنة، دراسة في التنميط والتطور، ط1، الدار العربية للعلوم ناشرون، بيروت، لبنان، 1433 هـ، 2012 م، ص 118، 119.

(2) : المرجع نفسه: ص 119.

(3) : التواتي بن التواتي: مفاهيم في علم اللسان، ص 35.

وعليه فما جاء في كتبهم من التحليلات لظواهر التأدية يترتب عليه دراسة علمية وعملية للغة؛ أي تحليلها العلمي من جهة واكتساب الملكة من جهة أخرى.[1]

إن الحديث عن التواصل اللغوي أو التبليغ يحيلنا مباشرة إلى الحديث عن ما يسمى بالسياق والمقام، فدون مراعاة السياق يصعب فهم الكثير من الدوال اللغوية التي يتضمنها الاتصال، ولا يمكننا أيضا فهم الإشارات المصاحبة ولا الاستجابة للأفكار والمعاني التي يحتويها الكلام، فالتبليغ لا يحصل إلا بالسياق لأنه الموضوع الذي يتحدث فيه طرفا عملية الاتصال، وفيمايلي سنتحدث عن نظرية السياق بشكل مبسط ومختصر.

5- نظرية السياق:

5-1- **تعريف السياق: (Contesct)**: ينقل لنا "عبد الجليل مرتاض" تعريف أحد اللسانيين للسياق فيقول: « إنه أمارات شكلية مموضعة في المحيط اللساني الفعلي لوحدة دالة أو للوحدات التي تشكل المحيط المباشر للوحدة الصوتية، كالوحدتين الصوتيتين (i) (v) تشكلان السايق لـــ i في (Iis vont: يذهبون)، سواء كان هذا المحيط قريبا أو بعيدا».[2]

والكلمات ليست لها معان وإنما لها استعمالات مختلفة بحسب السياق الذي ترد فيه، وفي الواقع نحن عندما نريد أن نبحث عن معنى كلمة ما، فهذا يعني أننا نبحث عن استعمالات هذه الكلمة، والسياق أيضا يخلص الكلمة من الدلالة الماضية التي تدعها الذاكرة تتراكم عليها.[3]

والسياق اسم يطلق على وجهين متكاملين هما:

السياق اللفظي (Verbalcontesct)، والسياق المقامي (Contesct Of Situation) فالأول نابع من وضوح الصوت وتنغيم الكلام وما ترافقه من إشارات،

---

(1) : التواتي بن التواتي: مفاهيم في علم اللسان، ص 35.
(2) : عبد الجليل مرتاض: التحليل البنيوي للمعنى والسياق، (د.ط)، دار هومة للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر، 2010م، ص 05.
(3) : هادي نهر: علم الدلالة التطبيقي في التراث العربي، ط1، عالم الكتب الحديث للنشر والتوزيع، الأردن، 1429 هـ، 2008م، ص 216.

ووضوح الخط فيما يتصل بالكلام المكتوب، وما فيه من تنظيم نابع من استخدام علامات الترقيع المختلفة وما يبثه الكاتب من فراغات وما يضيفه من صور أو رسوم توضيحية وأشكال رمزية، فالسياق اللفظي إذن يقوم وفق طبيعة التركيب الذي ترد فيه المفردات التي تتشابك فيما بينها وفق أنظمة معينة للغة ما، وهذا ما يعمل على تحديد القيمة الدلالية لكل مفردة داخل تركيب لغوي معين.[1]

وقد أظهرت الدراسات التي قام بها لسانيون، أمثال "جورج مونان" و"بريكل" و"دُبْوا" أن السياق اللساني بوصفه مجموعة من الأمارات الشكلية المحيطة بوحدة، لا يفشي لنا بالدلالة كلها لهذه الوحدة اللسانية، لكن فقط بقيمتها أو موقعها الخاص بالنسبة للوحدات الأخرى داخل النظام اللساني.[2]

أما النوع الثاني فيتصل بما يحيلنا إليه الكلام المنطوق أو المكتوب في العالم الخارجي، وهو بمنزلة المرجع الذي يحيل إليه الاتصال، فمعاني الكلمات والإشارات تمثيل لأشياء موجودة في العالم الخارجي، فعندما نستخدم في وصف إنسان كلمة "أفعى" مثلا أو "غراب" أو "ثعلب" تحيلنا إلى هذه الكائنات وما نعرفه عنها من طباع المكر أو الشؤم أو النحيب...إلخ.[3]

والإتصال اللغوي يقبع في واقع الأمر داخل السياق الثقافي والحضاري للمتكلم والسامع، وأي اختلال في ذلك يؤدي إلى تشويش في عملية الاتصال.

---

[1] : إبراهيم خليل: مدخل إلى علم اللغة، ص 27.
[2] : عبد الجليل مرتاض: التحليل البنيوي للمعنى والسياق، ص 7.
[3] : إبراهيم خليل: مدخل إلى علم اللغة، ص 28.

فالسياق المقامي إذن هو الذي يحدد لنا الخلفية غير اللغوية المحيطة بالعملية اللغوية، لذا لا غرابة في أن القدماء والمحدثين على السواء يؤكدون على ترابط النصوص انطلاقا من أنها أدوات للتواصل، والسياق المقامي يضعنا أمام حقيقة اللغة الاجتماعية.[1]

يؤكد الأمريكي "سابير" في كتابه "اللغة" على حقيقة مفادها: « أن دراسة اللغة في معزل عن السياق الثقافي والحضاري والأنتربولوجي دراسة عقيمة لا تؤدي إلى شيء لا سيما ما يتعلق بالمستوى الدلالي».[2]

وقد توسع علماء العرب القدامى في تبيان الوظيفة الاجتماعية للغة، ولم يغب عنهم أن هذه الوظيفة تتحدد من خلال الظروف المقامية التي تحيط باللغة، ومن أبرزها الظروف الاجتماعية الملابسة للعملية اللغوية[3] والكلام الذي اعتبره "دوسوسير" ظاهرة فردية محتاج إلى ضوابط وأحوال اجتماعية تكتنف التواصل لتحديد معانيه.

وهذه الضوابط والأحوال حصرها فيما يعرف بالسياق، وهو يعني هنا بالسياق ما يعرف بسياق الحال أو المقام، وتحديد المعنى استنادا إلى السياق يتطلب معرفة الآتي[4]:

- المكان الذي تتم فيه عملية الكلام: أي الموقع الذي يكون فيه طرفا الاتصال أو الخطاب.
- الزمن أو الوقت الذي تتم فيه عملية التواصل.
- الأشخاص المشاركين في عملية الكلام.
- وظيفة الخطاب والغاية المرجوة أو هدف هذا الخطاب.

وعليه فالسياق كل ما يحيط بالتركيب ويؤثر في فهمه وتحليله، ولأهمية السياق في وصف الظاهرة النحوية، نجد "ابن هشام" يمد بصره إلى ما حولها من عناصر لغوية

---

(1) : إبراهيم خليل: مدخل إلى علم اللغة، ص 28.
(2) : جيفري سامبسون: المدارس اللغوية، ترجمة نعيم الكراعين، ط1، المؤسسة الجامعية للنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، 1993م، ص 233.
(3) : هادي نهر: علم الدلالة التطبيقي في التراث العربي، ص 219.
(4) : إبراهيم خليل: في اللسانيات ونحو النص، ط1، دار المسيرة، عمان، الأردن، 2007م، ص 30.

مجاورة، أو في تركيب نظير للتركيب موضع النظر، ومن ذلك ما أورده في اعتراضاته على المعرب، حيث يقول: « إن يحمل كلاما (أي المعرب) على شيء، ويشهد استعمال آخر في نظير ذلك الموضع بخلافه».[1]

و"ابن هشام" هنا يرشد المعرب أن يستعين في إعراب كلمة ما في موقع معين من القرآن الكريم بالنظر في إعرابها في موقع مجاور، أو في موقع آخر نظير للموقع الأول، أي ينبغي للمعرب أن يلاحظ المحلات المتقاربة، ويجعل الإعراب في المحتمل مثل ما الإعراب فيه ظاهرا وهو بذلك يجعل النص القرآني نصا واحدا ووحدات لغوية متشابكة بعلاقات متكاملة فيما بينها.[2]

ومن أمثلة ما سبق قوله تعالى: ﴿ فَاجْعَل بَيْنَكَ مَوْعِدًا لَا نُخْلِفُهُ نَحْنُ وَلَا أَنْتَ مَكَانًا سُوَى (58) قَالَ مَوْعِدُكُمْ يَوْمَ الزِّينَةِ وأن يُحْشَرَ النَّاسُ ضُحى﴾[طه 58، 59].[3]

فيحتمل أن يكون المراد بقوله (موعدًا) هو "وَعْدٌ"، أو زمان وعدٍ، أو مكان وعدٍ، وكل محتمل، قال "ابن هشام": « فإن الموعد محتمل للمصدر، ويشهد له (لا نخلفه نحن ولا أنت) وللزمان ويشهد له (قال موعدكم يوم الزينة) وللمكان، ويشهد له (مكانا سويا)، وإذا أعرب (مكانا) بدلا منه لا ظرفا لـــ "نُخْلفه" تعيَّنَ ذلك وارتفع الاحتمال»[4]

وواضح مما سبق أن ابن هشام حمل الوجه النحوي على ثلاثة احتملات، وكل احتمال يُؤيِّدهُ بنية مجاورة في السياق.[5]

---

(1) : ابن هشام: المغني اللبيب، حققه وعلق عليه مازن المبارك ومحمد علي حمد الله وراجعه سعيد الأفغاني، ط6، دار الفكر، بيروت، 1985م، ص 773.

(2) : عبد الحميد مصطفى السيد: دراسات في اللسانيات العربية، ط1، دار حمورابي للنشر والتوزيع، 2008م، ص 145.

(3) : المرجع نفسه: ص 146.

(4) : ابن هشام: المغني اللبيب، ص 776، 777.

(5) : عبد الحميد مصطفى السيد: دراسات في اللسانيات العربية، ص 146.

5-2- **تعريف المقام:** لقد جاء في كتاب "التعريفات" لـــ "الجرجاني" أن « المقام: عبارة عن استيفاء حقوق المراسم على الإتمام، وأما الحال فهو ما يرد على القلب من غير تعمد ولا اجتلاب ومن شروطه أن يزول ويعقبه الميل وأن يصفو وقد لا يعقبه الميل، ومن شاء الخلاف فمن أعقبه الميل قال بدوامه ومن لم يعقبه الميل قال لعدم دوامه وقد قيل الحال تغير الأوصاف على العبد».[1]

فمن شروط التركيب المفيد والبليغ أن يكون مطابقا لمقتضى الحال، أو المقام لذا تداول على لسان العرب قولهم: لكل مقام مقال. وهذه المقولة كافية لتحديد أهمية مراعاة المقام في العملية اللغوية.

إن الفصيح من الناس من يتكلم مع غيره أو يخاطبه بكلام يفهمه ويوافق مقتضى المقام الذي يتحدث فيه، فمخاطبة الكبير غير مخاطبة الصغير، والحديث مع المثقف يختلف عن الحديث مع الأمي، ومخاطبة الأذكياء تختلف عن مخاطبة الأغبياء، وإن روعة البلاغة ورقيها في التركيب تكمن في مطابقته لمقتضى المقام.[2]

وكمثال على مطابقة التركيب لمقتضى الحال مايلي:

قال "بشار بن برد":

إذا ما غضبنا غضبة مضربة هتكنا حجاب الشمس أو تقطر الدم

إذا ما أعرنا سيدا من قبيلة درى منبرا صلى علينا وسلما

[1] : الشريف الجرجاني: التعريفات، (د ط)، مكتبة لبنان، بيروت، 1985م، ص 285.

[2] : سميح أبو مغلي: علم الأسلوبية والبلاغة، ط1، دار البداية ناشرون وموزعون، عمان، الأردن، 1432 هـ، 2011م، ص 17.

ففي هذين البيتين كلام شديد الوقع صارم يخلع القلوب مما يناسب الغضبة المضربة التي تثير النقع وتهتك حجاب الشمس وتقطر الدم، فبلاغة التركيب إذن أن يقال الكلام مطابقا لمقتضى الحال مناسبا للمقام، مع وضوح المعنى وسهولة النطق، وخلوه من التكرار.[1]

5-3- **المقام في ضوء اللسانيات:** نقل لنا "عبد الجليل مرتاض" بعضا من تعاريف اللسانيين للمقام، حيث يقول أحد الدارسين: «المقام هو مجموعة الوقائع المعروفة من قبل المتكلم والمستمع وقت تحقيق فعل الكلام».[2]

فالسياق هو مجموع الشروط لإنتاج الملفوظ إنتاجا خارجيا عن الملفوظ نفسه.

فهو إذن: « كل ملفوظ بالفعل من نية يمكن أن يجد عبرها مبرره ليكون في متناول الشخصية التي تتكلم، والآخر أو الأخرى التي تسمع في محيط (مكان)، وفي وقت (زمن) حيث يتم الإرسال، كل هذه العوامل التي تؤثر في تحقيق الملفوظ تشكل المقام».[3]

وقد أكد "عبد الجليل مرتاض" أن مسألة السياق من أعقد المسائل باتفاق اللسانيين، فبالنسبة "لبلومفيلد" الذي يدرج إظهار وضع سبب ما يحس به المرء خارج الذات في التعبير عن تصرف في دلالة الفعل اللساني، أن المقام ينهض بدور أساس في إنتاج المعنى.[4]

فالكلمة خارج السياق تحتمل دلالات عدة يمكن لها أن يؤديها، ولا يمكن الوقوف على معنى هذه الكلمة إلا من خلال إنجازها (Performance) أو أدائها في سياق مقالي ومقامي محددين، لذا وجب على الدارسين أو الباحثين في علم الدلالة، ربط ذلك كله

---

[1] : سميح أبو مغلي: علم الأسلوبية والبلاغة، ص 17، 18.
[2] : عبد الجليل مرتاض: التحليل البنيوي للمعنى والسياق، ص 08.
[3] : المرجع نفسه: ص 08، 09.
[4] : المرجع نفسه: ص 09.

بالدراسات البلاغية، والاجتماعية والنفسية، والتاريخية والدينية. فالكفاية اللغوية الدلالية تلزم الباحث بالوعي بكل ما عد من أصناف المعنى.[1]

ولتوضيح معنى المقام أكثر يعرفه مصدر لساني آخر فيقول: هو « مجموعة من عناصر خارج لسانية حاضرة في الذهن لمتكلمين أو أيضا في الحقيقة الفيزيائية الخارجية أثناء وقت التبليغ حيث يمكننا تخصيص دور في تكييف الشكل (La Conditionnement la Forme) أو الوظيفة لعناصر لسانية».[2]

وهذا التعريف يؤكد مظهرين أدساسين في المقام هما:

المحيط الفيزيائي المتمثل في الأشياء التي لها علاقة بالخطاب كالزمن المتصل بوقت التبليغ، والعوامل النفسية التي تشترك في عملية التبليغ كقصدية المتكلمين المشيرة إلى حالة ضميرية متعلقة برغبة معينة كالأمر والنهي أو قسر أو إرادة...إلخ.[3]

وارتباطا بسياق الحال تناول "تمام حسان" "فكرة المقال" "Speech Event" و"فكرة المقام" "Contesct Of Situation" في علاقتهما بعلم المعاني وعلم البيان وعلم البديع، فيقول: « إذا علمنا أن علم المعاني يتناول المعنى الوظيفي، وأن علم البيان يتناول المعنى المعجمي، وأن علم البديع يتناول صنعة فنية يتحتم فيها أن تتصل بالمعنى، علما أن البلاغة العربية لا تتناول المعنى الإجتماعي أو المعنى الدلالي، كما أسميه في هذا البحث فكرتين تعتبران اليوم من أنبل ما وصل إليه علم اللغة الحديث في بحثه عن المعنى الاجتماعي الدلالي: وأولى هاتين الفكرتين فكرة المقال والثانية فكرة المقام، وأنبل من ذلك أن علماء البلاغة ربطوا بين هاتين الفكرتين بعبارتين شهيرتين أصبحتا شعارا يهتف به

(1) : هادي نهر: علم الدلالة التطبيقي في التراث العربي، ص 241، 242.
(2) : عبد الجليل مرتاض: التحليل البنيوي للمعنى والسياق، ص 09.
(3) : المرجع نفسه: ص 09، 10.

كل ناظر في المعنى: العبارة الأولى "لكل مقام مقال" والعبارة الثانية "لكل كلمة من صاحبها مقام".[1]

والواضح أن تمام حسان يطابق بين ما يعرف بـــ "سياق الحال" عند اللسانيين و"المقام" عند البلاغيين، وعلى هذا الأساس يمكن أن نقول أن البلاغة العربية أسهمت كثيرا في تقديم فكرة هي من أنبل ما وصل إليه علم اللسان في نظر "تمام حسان".

[1] : تمام حسان: اللغة العربية معناها ومبناها، (د ط)، دار الثقافة، الدار البيضاء، (د ت)، ص 20.

الفصل الثاني: مصطلحات لسانية عند "ابن خلدون".

1- ابن خلدون وعلوم اللسان.

2- علاقة اللغة بعلم العمران.

3- تعريف اللغة عند ابن خلدون.

3-1- اللغة وسيلة للتعبير.

3-2- اللغة فعل لساني.

3-3- اللغة فعل قصدي.

3-4- اللغة اصطلاح.

3-5- اللغة ملكة لسانية.

3-6- اللغة ميزة إنسانية مكتسبة.

3-7- اختلاف اللغات من مجتمع لآخر.

4- الملكة عند ابن خلدون.

4-1- بين الملكة والذوق.

4-2- بين الملكة والصناعة.

4-3- بين اللسان وعلوم اللسان والملكة اللغوية.

5- تعلم واكتساب العربية عند "ابن خلدون".

6- أنواع الملكات بحسب التعلم والاكتساب.

6-1- ملكة (كفاية) الفهم.

6-2- ملكة السمع.

6-3- ملكة إنشاء اللغة.

6-4- مهارة القراءة.

1- ابن خلدون وعلوم اللسان:

لقد بلغت الدراسات اللسانية في العالم مستويات من التفكير ضاهت فيه الكثير من العلوم الإنسانية والتكنولوجية، هذا ما جعلها تقيم قطيعة مع الدراسات اللسانية التراثية القديمة، لذا تحدث "تشومسكي" عن هذه القطيعة وما خلفته من فراغات وبتور في البحث اللساني[1]، وقد نقل لنا "عمر لحسن" قول "تشومسكي" في هذا الصدد، حيث أكد على أن « الدراسات الحديثة انقطعت بطواعية عن النظرية اللسانية التقليدية، وحاولت إنشاء نظرية لسانية بكيفية جديدة كل الجدة ومستقلة، ولم يهتم اللسانيون المحترفون عموما إلا قليلا بالإسهامات المقدمة إلى النظرية اللسانية من قبل التقليد الأوربي السابق، واهتموا بمسائل مختلفة جدا، داخل نطاق ثقافي بعيد عن أن يجعلهم مدركين للمسائل التي أثارتها الدراسات اللسانية الأكثر قدما، والتي أوصلت إلى النتائج المحققة إلى حد الآن، وما زلنا إلى اليوم نجهل كثيرا إسهامات الماضي هذه أو ننظر إليها باستخفاف غير خفي».[2]

والواضح من خلال النص السابق أن "تشومسكي" يوصي بضرورة الرجوع إلى التراث اللغوي لما يحتويه من أفكار ومبادئ تمكن العلوم اللسانية الحديثة من الوصول إلى نظريات لسانية باهرة. لذا ينبغي الربط بين القديم وبين ما وصلت إليه العلوم الحديثة ولا يجدر بنا أن نتجاهل أو نستخف بما أنتجه الدرس اللساني القديم.

ويعتبر "ابن خلدون" من العلماء القدامى، الذين قدموا الكثير للفكر العربي خاصة فيما يتعلق بعلوم اللسان، ويعتبره بعضا متجاوزا عصره بكثير، حيث يقول "عبد السلام المسدي": « وكثيرا ما يسير الباحثون إلى غرابة ظهور ابن خلدون في فترة انحصار المد الحضاري العربي، معتبرين أن المناخ الفكري السائد طيلة القرن السابع والقرن الثامن، ما

[1] : عمر لحسن: (التفكير اللساني عند ابن خلدون وعلاقته بعلم العمران)، مجلة المجمع الجزائري للغة العربية، العدد 05، 2007م، ص 167.
[2] : المرجع نفسه: ص 167، 168.

كان يسمح موضوعيا بظهور فكر متميز على الصعيد الإنساني يتجاوز كل مكتسبات المعرفة البشرية الحاصلة قبله».[1]

وقد انصبت اهتمامات كثيرة على ما قدمه "ابن خلدون"، علما أن اهتمامات الغرب كان مقتصرا على الجوانب الفكرية والفلسفية والاجتماعية، فقد أهملت آراؤه في المجال اللساني، على الرغم من أنها لا تقل أهمية عن غيرها من الآراء والتي قدمها "ابن خلدون" في الجانب المعرفي.[2]

ويجدر بنا أن نتناول آراء "ابن خلدون" في الجانب اللساني انطلاقا من فكرة الإهمال هذه، وكي نتمكن من إبرازه « كعالم لساني متبحر في علم اللسان العربي بصفة خاصة، وعلوم اللسان البشري بصفة عامة».[3]

لقد انصبت اهتمامات "ابن خلدون" في الجانب اللغوي على خصائص اللسان العربي ومميزاته الصوتية والصرفية والنحوية والبيانية، وما طرأ على هذا اللسان من تحولات وتغيرات في بنيته الأصلية، ويحقق في أسباب التطور الذي حدث في اللسان العربي المبين، ويخص أعلام كل علم بالذكر منوها بما لهم من محاسن وناقدا ما عليهم من مساوئ، كما تحدث عن الملكة التي يعتبرها جوهر كل شيء، ودورها في التعلم والاكتساب[4]، وهذا ما سنركز عليه في هذا البحث.

لقد صنف "ابن خلدون" علوم اللسان العربي في مقدمته إلى أربعة أركان، وهي اللغة والنحو والبيان والأدب، وقد رأى "ابن خلدون" أن معرفتها ضرورة على أهل الشريعة، مع العلم أنه قدم النحو على الأصناف الأخرى، وذلك لأن النحو به تبيين أصول

(1) : عبد السلام المسدي: قراءات مع الشابي والمتنبي والجاحظ وابن خلدون، ط4، دار الصباح، الكويت، 1993م، ص 152.
(2) : عمر لحسن: (التفكير عند ابن خلدون وعلاقته بعلم العمران)، مجلة المجمع الجزائري للغة العربية، ص 170.
(3) : سالم علوي: وقائع لغوية وأنظار نحوية، (د.ط)، دار هومة، الجزائر، 2000م، ص 136.
(4) : المرجع نفسه: ص 137.

المقاصد بالدلالة فيُعرب الفاعل من المفعول والمبتدأ من الخبر، ولولاه لجُهل أصل الإفادة، وكانت من حق علم اللغة أن يتقدم عليه.[1]

وقد برر "ابن خلدون" تقدم النحو بقوله: « لأن أكثر الأوضاع (في اللغة) باقية في موضوعاتها لم تتغير بخلاف الإعراب الدال على المسند والمسند إليه فإنه تغير بالجملة، ولم يبق له أثر، فلذلك كان علم النحو أهم من اللغة، إذ في جهله الإخلال بالتفاهم جملة وليست كذلك في اللغة».[2]

والواضح أن "ابن خلدون" في ترتيبه هذا يفرق بين علوم اللسان المعيارية وقوانينها الكلية، كالنحو وفقه اللغة الذي يُعْنَى بوصف اللغة وطرق استعمالها وتطورها التاريخي، واستقراء الظاهرة اللغوية الإستعمالية من خلال النصوص وخاصة التراكيب لأن الأعمال الأدبية إنما هي أبنية كلية، لها علائقها الداخلية وترابطها ووظائفها الجمالية حسب استعمالاتها وأوضاعها في النص، كما يؤكد ذلك "تشالز" في نظراته النقدية، واللغة مادة الأدب.[3]

[1] : ابن خلدون: المقدمة، ص 500.
[2] : المصدر نفسه: ص 501.
[3] : عمار طالبي: (نظرات ابن خلدون في علوم اللسان العربي وصيرورته في المغرب)، مجلة المجمع الجزائري للغة العربية، العدد 08، 2008م، ص 101.

2- علاقة علم اللغة بعلم العمران:

صحيح أن "ابن خلدون" في "المقدمة" وبالتحديد في الفصل السادس تناول علوم اللسان العربي بالدراسة، لكن أغلب الدراسات التي انصب جهده عليها كانت في الجوانب الفكرية والفلسفية والاجتماعية وعلاقتها بالنظرية الخلدونية العامة، المتمثلة في علم العمران البشري.[1]

لذا فإن الدارس "لابن خلدون" يلاحظ ضرورة المحاولة في معرفة العلاقة التي تربط بين علم العمران وعلم اللسان انطلاقا من أن « مذهب "ابن خلدون" الفكري وأسلوبه الذي في حقيقته مزيج من علوم متعددة».[2]

لقد صرح "ابن خلدون" بأنه هو الذي ابتكر نظرية العمران، وإن كان يعترف بأن بعضا من العلماء والحكماء من الفرس والعرب سبقوه في التطرق إلى هذا الموضوع، غير أن كتاباتهم لم ترق –في نظره– إلى مستوى نظري من حيث دقة التناول وشمولية تحليل المسائل المتعلقة بالعوارض والأحوال التي تطرأ على العمران البشري والاجتماع الإنساني.[3]

حيث يقول: « أعلم أن الكلام في هذا الغرض مستحدث الصنعة غريب النزعة عزيز الفائدة أعثر عليه البحث وأدى إليه الغوص... ولعمري لم أقف على الكلام في منحاه لأحد من الخليقة ما أدري ألغفلتهم عن ذلك وليس الظن بهم، أو لعلهم كتبوا في هذا الغرض واستوفوه ولم يصل إلينا».[4]

ويقسم "ابن خلدون" العمران البشري إلى نوعين: عمران بدوي وعمران حضري، وقد برر تقديم العمران البدوي على العمران الحضري بقوله: « ولقد قدمت العمران

---

(1) : عمر لحسن: (التفكير اللساني عند ابن خلدون وعلاقته بعلم العمران)، مجلة المجمع الجزائري للغة العربية، ص 170.
(2) : حسان خلاق: مقدمة في مناهج البحث التاريخي، (د.ط)، دار النهضة العربية، بيروت، 1986م، ص 310.
(3) : عمر لحسن: (التفكير اللساني عند ابن خلدون وعلاقته بعلم العمران)، مجلة المجمع الجزائري للغة العربية، ص 172.
(4) : ابن خلدون: المقدمة، ص 44.

البدوي لأنه سابق على جميعها كما نبين لك بعد، وكذا تقديم المَلِك على البلدان والأمصار. أما تقديم المعاش فلأن المعاش ضروري طبيعي وتعلم العلم كمالي أو حاجي، والطبيعي أقدم من الكمالي وجعلت الصنائع مع الكسب لأنه منه ببعض الوجوه ومن حيث العمران».[1]

والواضح أن "ابن خلدون" جعل العلم في المرحلة الأخيرة تطبيقا لمبدأ "بداية الفكر نهاية العمل" وهذا ما يلخص بكيفية أخرى "قانون النشوء والارتقاء"[2] والعلوم بوصفها عمرانا فكريا ولسانيا وفنيا ينتهي تطورها في صناعة الشعر، وبوصفها عمرانا صناعيا ينتهي تطورها في صناعة التعليم والملاحظ أن العلوم أيضا معنية هي الأخرى بنظرية النشوء والارتقاء، فهي تكثر حيث يكثر العمران وتعظم الحضارة، وينطوي بساطها لما يتناقص العمران، ومن جهة أخرى فإن تعليم العلم بعد جملة من الصنائع التي تظهر وتختفي بظهور العمران البشري واختفائه.[3]

ويرى "ابن خلدون" أن أول ما ظهر من علوم اللسان العربي علم اللغة (المعاجم)، وتطور البحث اللساني إلى علم النحو، الذي أدى تطوره بدوره إلى ظهور علم البيان (البلاغة) والتي أدى تطورها إلى ظهور علم الأدب[4]، وأخيرا علم الإعجاز في القرآن الكريم « لأن إعجازه (القرآن) في وفاء الدلالة منه بجميع مقتضيات الأحوال منطوقة ومفهومة، وهي أعلى مراتب الكلام مع الكمال فيما يختص بالألفاظ في انتقائها وجودة رصفها وتركيبها. وهذا هو الإعجاز الذي تقصر الأفهام عن إدراكه».[5]

---

(1) : ابن خلدون: المقدمة، ص 47.
(2) : عمر لحسن: (التفكير اللساني عند ابن خلدون وعلاقته بعلم العمران)، مجلة المجمع الجزائري للغة العربية، ص 175.
(3) : ابن خلدون: المقدمة، ص 46، 47.
(4) : المصدر نفسه: ص 500.
(5) : المصدر نفسه: ص 506.

ويمكن أن نلخص العلاقة بين علم العمران البشري وعلم اللغة في الهرمين الآتيين[1]:

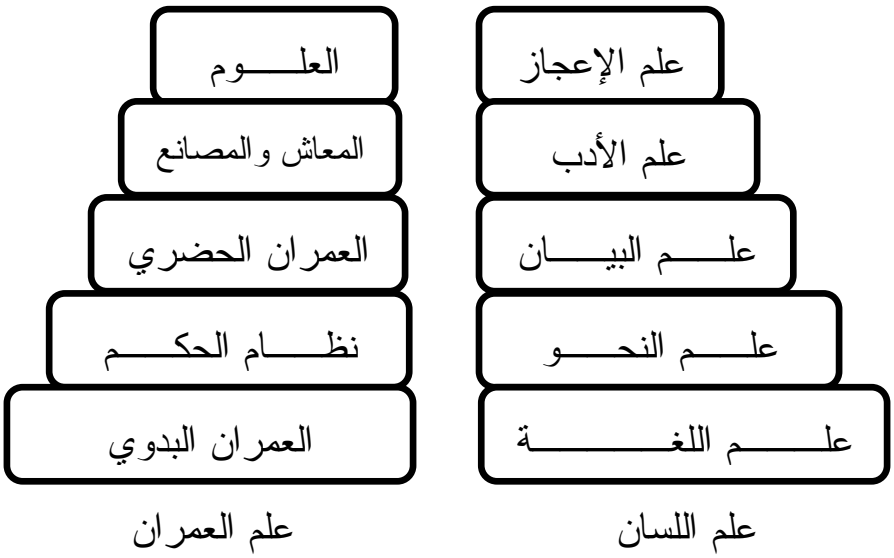

إستنتاج:

نلاحظ من خلال ما سبق أن "ابن خلدون" كان صاحب مبدأ في نظريته العامة وفي المنهج الذي تبناه في مقدمته، فعلوم اللغة عنده كانت امتدادا طبيعيا لنظريته في علم العمران، ذلك أن العلوم اللسانية التي تعتبر جزءا من العلوم عند العرب تتوزع هي الأخرى وفق مبدأ النشوء أو التدرج من البسيط إلى المعقد، كتطور العمران من البسيط (العمران البدوي) إلى المعقد أو المركب (العلوم).[2]

والواضح كذلك أن نظرة "ابن خلدون" لعلوم اللسان العربي من حيث المصطلحات أو من حيث الفروع والمستويات هي نظرة علمية دقيقة تتفق كثيرا مع النظرة اللسانية الحديثة، وهذا ما يجعلنا نعتقد أنه كان رجل متميز فاق عصره بكثير، وكأنه يملك نظرة استشرافية، سواء فيما يخص نظريته في علم العمران أو فيما يتعلق بنظراته وتفكيره في علوم اللسان.[3]

[1] : عمر لحسن: (التفكير اللساني عند ابن خلدون وعلاقته بعلم العمران)، مجلة المجمع الجزائري للغة العربية، ص 186.
[2] : ابن خلدون: المقدمة، ص 371.
[3] : عمر لحسن: (التفكير اللساني عند ابن خلدون وعلاقته بعلم العمران)، مجلة المجمع الجزائري للغة العربية، ص 186.

3- تعريف اللغة عند ابن خلدون:

يعرف "ابن خلدون" اللغة بقوله:

« اعلم أن اللغة في المتعارف عليه، هي عبارة المتكلم عن مقصوده، وتلك العبارة فعل لساني ناشئ عن القصد بإفادة الكلام، فلابد أن تصبير ملكة متقررة في العضو الفاعل لها، وهو اللسان، وهو في كل أمه بحسب أصطلاحاتها»[1]، واللغة بهذا المفهوم تتضمن مايلي:

3-1- اللغة وسيلة للتعبير:

يقول "ابن خلدون" إن اللغة عبارة المتكلم عن مقصوده؛ أي أن اللغة وسيلة يعبر بواسطتها عن آرائه ومتطلباته وأحاسيسه، وتحديد اللغة من حيث أنها وسيلة للتعبير الإنساني تحْدِيدٌ يَرِدُ في أكثر من مكان في المقدمة[2]. حيث يقول: « وذلك أن المتكلم يقصد من كلامه إفادة السامع، وتمام الإفادة إذا حصلت للمتكلم فقد بلغ غاية الإفادة في كلامه، وإذا لم يشتمل على شيء منها فليس من جنس كلام العرب»[3] فالإنسان يستعمل اللغة للتواصل مع غيره والإفصاح عما في نفسه، فالمتكلم ومن خلال كلامه يحاول إيصال أفكاره إلى غيره، ولا يمكن أن تظهر هذه الأفكار إلا من خلال اللغة، لأنها وسيلة التعبير الأولى فهي الوسيط بين المتكلم والسامع.

3-2- اللغة فعل لساني:

إن اللغة في رأي ابن خلدون نشاط إنساني يقوم به الإنسان عبر لسانه، والتعبير الكلامي لا يتحدد من خلال البنية الكلامية الذاتية والمعاني المرتبطة بها فقط، بل يتحدد أيضا من خلال الفعل اللساني الحاصل في الوقت الذي نعبر به عن الأفكار.[4]

---

[1] : ابن خلدون: المقدمة، ص 501.
[2] : ميشال زكريا: بحوث ألسنية عربية، ط1، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت، 1412هـ، 1992م، ص 63.
[3] : ابن خلدون: المقدمة، ص 505.
[4] : ميشال زكريا: ص 63.

3-3- **اللغة فعل قصدي:**

إن الفعل اللساني فعل قصدي إرادي نابع من تصميم الإنسان على التعبير عن ذاته وعلى التواصل مع الآخرين، وهو ناشئ عن القصد بإفادة الكلام، وناجم عن شعور وإرادة، والإنسان يعيش مواقف في حياته يعبر عنها باللغة، وعليه فاللغة فعل عقلي مصنوع يقوم به الفرد لغاية استعمال اللغة والتواصل من خلالها.[1]

3-4- **اللغة اصطلاح:**

اتفق الكثير من علماء اللغة أن للغة طابع اصطلاحي يفسر من خلاله تعدد اللغات واختلافها من مجتمع لآخر، ويرجع "ابن خلدون" هذا التمايز إلى اختلاف وتعدد الاصطلاحات بين الأمم، وهي مستمدة من عصور سالفة فهي حصيلة النتاج الثقافي والحضاري موجود في اصطلاح ضمني يكمن مصدره خارج مجال إدراكنا المباشر، وفي زمن بعيد يتعدى حدود قدراتنا الاستدلالية.[1]

3-5- **اللغة ملكة لسانية:**

إن اللغة تصير ملكة متقررة في العضو الفاعل لها وهو "اللسان" فاللغة حصيلة ثقافية وفعل إرادي، تصير ملكة لسانية لدى المتكلمين بها؛ أي تصبح قدرة في الإنسان على التكلم ثم تستقيم لتصبح أداة تعبير وتواصل بين الناس، وقد طور "ابن خلدون" مفهوم الملكة معتبرا أن اللغة كيانا موجودا لدى الإنسان لأنه قد امتلك هذه الملكة اللسانية[2] ويقول في هذا الصدد: « فالمتكلم من العرب حين كانت ملكة اللغة العربية موجودة فيهم، يسمع كلام أهل جيله، وأساليبهم في مخاطباتهم وكيفية تعبيرهم عن مقاصدهم، كما يسمع الصبي استعمال المفردات في معانيها، فَيُلَقَّنُهَا أولا، ثم يسمع التراكيب بعدها فيلقنها كذلك، ثم لا يزال سماعهم لذلك يتجدد في كل لحظة، ومن كل متكلم واستعماله يتكرر إلى أن

(1) : ميشال زكريا: بحوث ألسنية عربية، ص 63.
(2) : المرجع نفسه: ص 64.

يصير ذلك ملكة وصفة راسخة ويكون كأحدهم، هكذا تصيرت الألسن واللغات من جيل إلى جيل وتعلمها العجم والأطفال».[1]

3-6- **اللغة ميزة إنسانية مكتسبة:**

إن اللغة ملكة لسانية يكتسبها الإنسان أو يتعلمها في مرحلة الطفولة؛ أي في بداية العالم اللغوي لدى الإنسان. والإكتساب يكون في البيئة التي يسمع فيها الطفل كلام أفراد مجتمعه، ويعتبر الاكتساب عملية ذاتية عفوية يقوم بها الإنسان انطلاقا من قدراته الفطرية الخاصة به وهذا بمساعدة الأهل والمحيطين به. والواضح أن الاكتساب يشمل الكبار أيضا الذين يعيشون في مجتمع لا يتكلم لغتهم، ويريدون تعلم اللغة التي يتكلمها المجتمع المستقبل لهم.[2]

3-7- **اختلاف اللغات من مجتمع لآخر:**

يختلف اللسان من أمه إلى أخرى باختلاف اصطلاحاتهم، والملاحظ على تعريف "ابن خلدون" اللغة أنه لم يحصره بلغة إنسانية معينة، بل عرفها على أنها ميزة إنسانية تشمل كل البشر، فاللغة الإنسانية ملكة خاصة بالإنسان وتتنوع بتنوع الشعوب والمجتمعات البشرية.[2]

وانطلاقا من علاقة اللغة بالمجتمع نجد أحد الدارسين قد أشار إلى العلاقة الوثيقة بين اللغة والمجتمع من خلال اعتماده على الجمع بين رأيي "ابن جني" و"ابن خلدون" في تعريفهما للغة، إذ يقول: « لقد فطن ابن جني وغيره من علماء المسلمين، مثل ابن خلدون إلى ارتباط اللغة بالمجتمع، فبينما يستخدم ابن جني في تعريفه كلمة "قوم" نجد ابن خلدون يستعمل كلمة "أمة"».[3]

---

[1] : ابن خلدون: المقدمة، ص 501.
[2] : ميشال زكريا: بحوث ألسنية عربية، ص 64.
[3] : كريم زكي حسام الدين: أصول تراثية في علم اللغة، ط2، عالم الكتاب، القاهرة، 1985م، ص 78، 79.

والواضح أيضا أن "ابن خلدون" لما أكد على أن الكلام عنده فعل لساني ناشئ عن القصد بإفادة الكلام، « فعل يخرجه من التجريدات الفلسفية ويضعه في صلب الدراسات العلمية التي تخضع للتجارب المخبرية، فينبغي أن ندرس الجهاز الصوتي للإنسان وأحياز الحروف وصفاتها في المخابر فاللغة إذا فعل حادث يحدثه العضو الفاعل وهو اللسان».[1]

كما أن المنطلق في اعتبار المنظرين « أن اللغة ملكة هو ربطها بالمؤهلات الفطرية في الإنسان إلى الحد الذي يصبح معه البعد اللغوي لدى الإنسان ملابسا لجملة من العناصر الطبيعية المقترنة بوجوده تلقائيا».[2]

لقد جمع "ابن خلدون" عنصري الملكة والصناعة في مفهوم اللغة، وذلك بإدخالهما في اللسان واعتباره محورا مركزيا ينسب إليه الاستعداد بالملكة والرياضة بالصناعة، فيصبح الكلام بذلك مهارة مكتسبة بالاستعداد والمران في نفس الوقت، فتتنوع حينئذ عبارات "ابن خلدون" في وصف اللغة: فهي "ملكة اللسان" مرة، وهي "صناعة ذات ملكة"، وهي "ملكة في اللسان بمنزلة الصناعة" تارة أخرى، فالمتعلم إذا حصل ملكة ما استعد بعدها لقبول ما بقي من ذلك العلم وطلب المزيد حتى يستولي على غاية العلم، والملكات اللسانية كلها إنما تكتسب بالصناعة والإرتياض.[3]

وفيمايلي سنتحدث عن مصطلح الملكة عند "ابن خلدون"، لمعرفة الكيفية التي نظر بها إلى هذه الملكة اللسانية وعلاقتها بالاكتساب اللغوي.

---

[1] : سالم علوي: وقائع لغوية وأنظار نحوية، ص 141.
[2] : عبد السلام المسدي: التفكير اللساني في الحضارة العربية، ص 255، 256.
[3] : ابن خلدون: المقدمة، ص 390، 522.

4- الملكة عند "ابن خلدون":

كثيرا ما تكرر لفظ "الملكة" في مقدمة "ابن خلدون"، معتبرا إياها المعيار الحقيقي للتعمق في أي فن من فنون الدراسات اللسانية وغير اللسانية أيضا، ويعني بها الصفة الذاتية الراسخة المتمكنة في وجدان الكاتب أو النحوي أو اللغوي، وبها يدرك الحسن من القبيح، والغث من السمين، والسليم المستقيم من المحال الرديء.[1]

وبعبارة أخرى فهي « عنصر نفسي راسخ ووجداني متمكن في نفس يدل على امتلاكه لعلم من العلوم فهي ملكات متنوعة، منها الملكة الشعرية والملكة الكتابية وملكة علمية وملكة فقهية...إلخ».[2]

ويقول "عبد السلام المسدي" في هذا الصدد: « الملكة مفهوم متعدد الجوانب، متداخل المقاصد، غير أنه ينحصر إجمالا في القدرة على اكتساب ما لم يكن مكتسبا بضرب من التملك والحوز، فهي لذلك تحويل المفقود إلى الموجود بعد إثبات حق الملكية فيه بالرياضة والاقتناء».[3]

وللملكة أساسان هما:

1- إما أن تكون جبلة تنشأ مع الطفل الذي عاش في محيط معين سواء كان هذا المحيط عربي، أو غير عربي، فالولد يسترضعها (الملكة) منذ صباه كما يسترضع حليب أمه، يتذوقها كما يتذوقه، فينشأ هذا المولود مطبوعا بتلك الصفة اللسانية الذاتية والتي تشربها لحمه ودمه، فسالت أصواتا عذبة في كلمات وتراكيب[4]، يقول "ابن خلدون" في هذا السياق: « لو فرضنا صبيا من صبيانهم (صبيان غير العرب) نشأ ورُبِّي في جيلهم (جيل

---

(1) : سالم علوي: وقائع لغوية وأنظار نحوية، ص 154.
(2) : عمار طالبي: (نظرات ابن خلدون في علوم اللسان العربي وصيرورته في المغرب)، مجلة المجمع الجزائري للغة العربية، ص 119.
(3) : عبد السلام المسدي: التفكير اللساني في الحضارة العربية، ص 255.
(4) : سالم العلوي: وقائع لغوية وأنظار نحوية، ص 154.

العرب) فإنه يتعلم لغتهم ويُحكِم شأن الإعراب، والبلاغة فيها، حتى يستولي على غايتها، وليس من العلم القانوني في شيء وإنما بحصول هذه الملكة في لسانه ونطقه».[1]

2- وأما الأساس الثاني هو أن تكتسب هذه الصفة بالتدريج، وذلك بمخالطة أمات الكتب، وأرباب البلاغة والفصاحة وتسبقهما حالة غير قارة، فإذا نضجت واكتملت صارت كالصفة الراسخة الطبيعية إدراكا وذوقا[2]، يقول "ابن خلدون": « فالمتكلم بلسان العرب والبليغ فيه يتحرى الهيئة المفيدة لذلك على أساليب العرب وأنحاء مخاطباتهم، وينظم الكلام على ذلك الوجه جهده، فإذا اتصلت مقاماته بمخالطة كلام العرب حصلت له الملكة في نظم الكلام على ذلك الوجه وسَهُلَ عليه أمر التركيب حتى لا يكاد ينحو فيه غير منحى البلاغة التي للعرب، وإن سمع تركيبا غير جار على ذلك المنحى مجّه ونبا عنه سمعه بأدنى فكر، بل وبغير فكر، إلا بما استفاد من حصول هذه الملكة، فإن الملكات إذا استقرت ورسخت في مَحَالِهَا ظهرت كأنها طبيعة وجبلة لذلك المحل».[3]

وعليه فإن الملكة إذا تمكنت في اللسان، واستولى صاحبها على ناصيتها أصبحت هي الذوق، وهذا هو الملاحظ في قول "ابن خلدون": « واستعير لهذه الملكة، عندما ترسخ وتستقر اسم الذوق الذي اصطلح عليه أهل صناعة البيان، والذوق إنما هو موضوع لإدراك الطعوم، لكن لما كان محل هذه الملكة في اللسان من حيث النطق بالكلام كما هو محل لإدراك الطعوم، استعير لها اسمه، وأيضا فهو وجداني اللسان كما أن الطعوم محسوسة له، فقيل له ذوق».[4]

وتحصل الملكة بتكرار الأفعال التي يراد التمكن من ناصيتها، فتكتسب النفس من هذا التكرار صفة، وبمضي التكرار والتعود عليه يحصل لها حال، وهي صفة غير راسخة، وبزيادة التكرار ومضاعفته تصبح هذه الحال صفة راسخة، وهذه الصفة الراسخة

---

[1] : ابن خلدون: المقدمة، ص 515، 516.
[2] : سالم العلوي: وقائع لغوية وأنظار نحوية، ص 154.
[3] : ابن خلدون: المقدمة، ص 515.
[4] : المصدر نفسه: ص 516.

هي الملكة، وما يسميه عامة الناس طبعا أو جبلة، ويقولون أن اللغة للعرب بالطبع، ما هو إلا هذه الملكة الأولى التي أخذت عنهم، ولم يأخذوها عن غيرهم.[1]

و"ابن جني" مثلا مانفك يؤكد أن اللغة في أصل وصفها إنما تمارس "بالطبع" الذي يكون في الممارسة اللسانية أداة توثّبٍ وهجوم على اللغة، وهو ما ينفي احتمال قيام الأصول الواعية أو القوانين المدركة بالفعل لدى الإنسان في تعامله مع الظاهرة اللغوية ويُدخل "أبو حيان التوحيدي" في حصر فكرة الملكة اللسانية عنصر "الغريزة" معتبرا أن ممارسة الإنسان للفعل الكلامي يجب أن تستند إلى بناء وتركيب قائمين في غرائز أهل اللغة المقصودة بالذات[2]. وهذا ما يجعل المواضعة اللغوية شيئا حاصلا في ذات المتكلم، وإن لم يستطع هو نفسه أن يطيق مَضَارِبَهُ فإن ذلك لا يعني تعذر استخراجها بالوصف والتحليل لاستنباط الأحكام والأصول ومقوماتها.[3]

والقائل أن العرب تنطق بالطبع مغفل على حد تعبير "ابن خلدون"، وليس الأمر كذلك، وإنما هي ملكة لسانية في نظم الكلام تمكنت ورسخت فظهرت في بادئ الرأي أنها جبلة وطبع.

4-1- بين الملكة والذوق:

يقول "ابن خلدون" في تفسير الذوق وبيان أنه لا يحصل للمستغربين من العجم غالبا: « اعلم أن لفظة الذوق يتداولها المعتنون بفنون البيان ومعناها حصول ملكة البلاغة للسان».[4]

والواضح أن "ابن خلدون" يفرق بين الملكة التي هي حذق الأشياء ومعرفة حقائقها، وبين الذوق الذي يختص به علم البيان أو البلاغة فالأولى حس متمكن، والثاني ذوق

(1) : المصدر نفسه: ص 508، 509.
(2) : ابن جني: الخصائص، ص 273.
(3) : عبد السلام المسدي: التفكير اللساني في الحضارة العربية، ص 256.
(4) : ابن خلدون: المقدمة، ص 515.

جمالي فني، فقد يملك المرء ملكة القوانين، ولكنه لا يرقى إلى درجة الذوق، ولهذا فإن إدراك القوانين وحدها غير مجدية ما لم ترق أو تصل إلى مرتبة الملكة الذوقية[1]، لأنه «ربما يدعي كثير ممن ينظر في هذه القوانين البيانية حصول هذا الذوق له بها وهو غلط أو مغالطة، وإنما حصلت له الملكة إن حصلت في تلك القوانين البيانية وليست من ملكة العبارة في شيء».[2]

والملاحظ أن الملكة أعم وأوسع من الذوق لأنها « موجودة في الملكات الصناعية كلها على الإطلاق، وقد برهنا عليه في مَوْضِعِهِ بنحو من هذا البرهان فاعتبر مثله في اللغات. فإنها ملكات اللسان وهي بمنزلة الصناعة».[3]

4-2- بين الملكة والصناعة:

تحدث "ابن خلدون" عن الصناعة كثيرا حيث يقول: « اعلم أن الصناعة هي ملكة في أمر عملي فِكري، وبكونه عمليا هو جسماني محسوس».[4]

لقد حاول "ابن خلدون" في مسألة الملكات والصنائع أن يخص محور الملكات مما يستوعبها من فكرة الصناعات ويصبح على بينة بالكيفية التي تنقسم الصنائع فيها إلى بسيط ومركب فالبسيط يختص بالضروريات والمركب يكون للكماليات، والمتقدم منها في التعليم هو البسيط لبساطته أولا، لأنه مختص بالضروري[5]، حيث يقول: « ولا يزال الفكر يُخرج أصنافها ومركباتها من القوة إلى الفعل بالاستنباط شيئا فشيئا على التدريج حتى تَكمُل، ولا يحصل ذلك دفعة وإنما يحصل في أزمان وأجيال إذ خروج الأشياء من القوة إلى الفعل لا يكون دفعة لا سيما في الأمور الصناعية فلا بد له إذن من زمان».[6]

---

(1) : سالم علوي: وقائع لغوية وأنظار نحوية، ص 155.
(2) : ابن خلدون: المقدمة، ص 517.
(3) : المصدر نفسه: ص 521.
(4) : المصدر نفسه: ص 341.
(5) : عبد السلام المسدي: التفكير اللساني في الحضارة العربية، ص 157.
(6) : ابن خلدون المقدمة، ص 371.

ومن هنا يتبين أن خط الفصل بين الملكة والصناعة كفكرتين إختباريتين في علاقة الإنسان بمعضلة الاكتساب في الوجود عامة أمر محتمل، ويتضح من استقراءات "ابن خلدون" على وجه الخصوص أن الصناعة هي ملكة في أمر عملي فكري، بمعنى أن الصناعة والملكة تلتقيان أو تشتركان في ممارسة المحسوس من الأحوال.

فتكون « الملكة صفة راسخة تحصل من استعمال ذلك الفعل وتكرره مرة بعد أخرى حتى ترسخ صورته، وعلى نسبة الأصل تكون الملكة».[1]

4-3- بين اللسان وعلم اللسان والملكة اللغوية:

إن اللسان هو « أداة تعبير عما يكنه الإنسان؛ أي تبليغ أغراض فهو مجموعة أصوات يخرجها الإنسان للإتصال بغيره، أو للتعبير عن حاجاته وانفعالاته النفسية».[2]

فاللسان أداة تستخدم للتعبير والتواصل مع الغير من خلال جمل وعبارات يطلقها المتكلم حتى تصل إلى إذن السامع، وتلك العبارات فعل لساني منجز.

أما علم اللسان: فهو الدراسة العلمية التي تتناول اللسان بالدراسة والتحليل والتفسير في جميع مستوياته، إنطلاقا من أن الناس جميعا مشتركون في هذا اللسان، وفي القدرة على الكلام.[2]

فعلم اللغة هو بيان الموضوعات اللغوية على حد تعبير "ابن خلدون".

وإن الهدف من الدراسة العلمية والموضوعية للسان هو معرفة خفايا اللسان باعتباره ظاهرة إنسانية، إضافة إلى وضع قوانين تحكم هذا اللسان عبر الزمن من خلال رصد مستعملي اللغة والناطقين بها، ويكون ذلك بملاحظة الظواهر اللغوية واستنباط أحكامها وقوانينها واستخدام الاستدلال العقلي بوضع الفرضيات للوصول إلى النتائج.[2]

---

[1] : ابن خلدون: المقدمة، ص 371.
[2] : التواتي بن التواتي: مفاهيم في علم اللسان، ص 24.

والملكة اللغوية هي: الصفة الراسخة في ذواتنا والتي تتمثل في قدرة الإنسان على بناء جسر للتواصل من خلال هذه الملكة، ولا يحسن التبليغ إلا إذا حسن التلقي.[1]

والواضح من خلال المصطلحات السابقة أن علم اللسان أوسع وأعم من اللسان، واللسان أوسع من الملكة اللغوية.

[1] : التواتي بن التواتي: مفاهيم في علم اللسان، ص 25.

5- تعلم واكتساب العربية عند "ابن خلدون":

يقول "ابن خلدون" في نص بعنوان – في تعليم اللسان المضري- من المقدمة: «اعلم أن ملكة اللسان المضري لهذا العهد قد ذهبت وفسدت، ولغة أهل الجيل كلهم مغايرة للغة مضر التي نُزِّلَ بها القرآن، وإنما هي لغة أخرى من امتزاج العجمة بها كما قدمناه، إلا أن اللغات لما كانت ملكات كما مَرَّ كان تعلمها ممكنا شأن سائر الملكات ووجه التعليم من القرآن والحديث وكلام السَّلف ومخاطبات فحول العرب في أسجاعهم وأشعارهم، وكَلِمَاتِ المُوَلَّدين أيضا في سائر فنونهم. حتى يتنزل لكثرة حفظه لكلامهم من المنظوم والمنثور منزلة من نشأ بينهم ولقن العبارة عن المقاصد منهم. ثم يتصرف بعد ذلك في التعبير عما في ضميره على حسب عباراتهم وتأليف كلماتهم وما وعاه وحفظه من أساليبهم وترتيب ألفاظهم. فتحصل له هذه الملكة بهذا الحفظ والاستعمال ويزداد بكثرتهما رسوخا وقوة، ويحتاج مع ذلك إلى سلامة الطبع والتفهم الحسن لمنازع العرب وأساليبهم في التركيب ومراعاة التطبيق بينها وبين مقتضيات الأحوال، والذوق يشهد بذلك وهو ينشأ ما بين هذه الملكة والطبع السليم فيهما، كما نَذْكُرُ. وعلى قدر المحفوظ وكثرة الاستعمال تكون جودة المَقُول والمَصْنُوع نظما ونثرا. ومَنْ حصل على هذه الملكات فقد حصل على لغة مُضَر وهو النَّاقِدُ البصير بالبلاغة فيها. وهكذا ينبغي أن يكون تعلُّمُهَا».[1]

من خلال النص السابق نستخلص أن "ابن خلدون" يصف الحال التي وصلت إليها ملكة اللسان العربي من تراجع وفساد، وذلك واضح في لغة الجيل المغايرة للغة القرآن بسبب امتزاج العجمة بها بالإضافة إلى أن "ابن خلدون" بين لنا قابلية تعلم اللغات لأن اللغات كلها ملكات يمكن تعلمها و « الملكة إنما تحصل بالتعليم».[2]

وعليه فتعلم اللغة عند "ابن خلدون" يتضمن مايلي:[3]

---

[1] : ابن خلدون: المقدمة، ص 512، 513.
[2] : المصدر نفسه: ص 512.
[3] : ابن خلدون: المقدمة، ص 512، 513.

- حفظ كلامهم القديم (كلام العرب) الجاري على أساليبهم من القرآن والحديث وكلام السلف ومخاطبات فحول العرب من أسجاعهم وأشعارهم وكلمات المولدين في سائر فنونهم حتى يتنزل منزلة من نشأ بينهم؛ أي حتى يصبح كمن تربى في وسطهم.

- استعمال العبارات الصحيحة والمعبرة، ثم يتصرف بعد ذلك في التعبير عما في ضميره على حسب عباراتهم وتأليف كلامهم بما حفظه من أساليبهم وترتيب ألفاظهم؛ أي النسج على منوالهم.

- الملكة عبارة عن حفظ واستعمال وبهما يتحقق حصولها، والرسوخ في الملكة يقتضي سلامة الطبع والتفهم الحسن لمنازع العرب وتقفي أساليبهم في التركيب مع مراعاة التطبيق بينها وبين مقتضيات الأحوال، وهذا ما يفضي إلى البلاغة التي هي مراعاة الكلام لمقتضى الحال مع الفصاحة.

- الذوق الذي يعني حصول ملكة البلاغة للسان، والبلاغة هي مطابقة الكلام للمعنى من جميع وجوهه مع إفادة الكلام في التركيب.

إن الملكات إذا استقرت ورسخت في محالها ظهرت كأنها طبيعة وجبلة لذلك المحل فحصول ملكة البلاغة في اللسان تكون بممارسة كلام العرب وتكرره على السمع لأن «السمع أبو الملكات اللسانية».[1]

وكذا التفطن لخواص تركيبه، وليست تحصل بمعرفة القوانين العلمية في ذلك التي استنبطها أهل صناعة البيان فإن هذه القوانين تفيد علما بذلك اللسان ولا تفيد حصول الملكة بالفعل في محلها.[2]

لقد توجه "ابن خلدون" وجهة متميزة في تعلم اللغة، وذلك بتقديم الملكة على النحو والسبب في ذلك أن نصه السابق موجه إلى أهل العربية ممن فسدت ملكتهم وذهبت لامتزاجها بالعجمة، ولهذا كان تعليمهم العربية قائما على: الملكة ثم النحو ثم الاستعمال

[1] : ابن خلدون: المقدمة، ص 501.
[2] : المصدر نفسه: ص 515.

على كلام العرب وهذا يستلزم رسوخ الملكة – ملكة البلاغة في اللسان– وأما من أراد أن يتعلم لغة غير لغته الأم فإنه يجد ملكتهم الخاصة بهم مخالفة لملكة اللسان العربي، وعلى هذا الأساس تبقى ملكة الأعجمي في نظر ابن خلدون ناقصة ومخدوشة لأنها مسبوقة بملكة اللغة الأم.[1]

وعليه فإن الاحتكام إلى جوهر قضية الاكتساب اللغوي بالاهتداء إلى حقيقة الحدث اللساني التي هي ملكة تُرَوَّض كما تروض اليد على النجارة أو الحدادة هو الذي قاد "ابن جني" –وكل رواد أصول النحو في التراث العربي– إلى التأكيد على أن اللغة هي مثالات مجردة تُصاغ بالحدود والقوانين، وعنها يتولد بالقياس الكلام المنطوق والمنجز فعلا، وفي مفترق القالب والقانون تكمن ركائز الملكة الصناعية في أمر اللغة، لأن المرادف للمثالات المجردة إنما هو الاستعداد الماقبلي لصياغتها وصياغة بدائلها، ولأن رديف القانون اللغوي هو الممارسة الاختبارية كما لو كان الأمر صناعة تنجز بالتناول المباشر، وهكذا يصبح الاكتساب اللغوي عملية جدلية بين التلقي والإفراز لأنها في الوقت نفسه ضرْبٌ من الأخذ يتفاعل مع نمط التوليد الموافق لصياغته فيكون تحصيل الكلام معادلة تصاعدية بين المنصوص والقياس عليه، ومعلوم أن اللفظ المنصوص هو معطى متسلط على الإنسان، فأما صياغة مثيله طبقا لقوالبه المهيئة فهو توليد ذاتي لأنه خلق وإبداع.[2]

[1] : عمار ساسي: اللسان العربي وقضايا العصر، رؤية علمية في الفهم المنهج الخصائص التعليم التحليل، (دط)، عالم الكتب الحديث، الأردن، 2009م، ص 100.

[2] : عبد السلام المسدي: التفكير اللساني في الحضارة العربية، ص 161، 162.

6- أنواع الملكات بحسب التعلم والاكتساب:

تتلخص المهارات اللغوية الخاصة بالاكتساب في: الفهم، الاستماع، التعبير (إنشاء اللغة)، القراءة. وهي على النحو التالي:

6-1- ملكة (كفاية) الفهم:

وتعرف هذه الكفاية بأنها: « حاصل مجموع الترابطات بين الرموز اللغوية وبين ما تحيل عليه من خبرات داخلية أو خارجية».[1]

وتعتبر هذه الملكة من الناحية التعليمية القاعدة الأساسية والعضو الفعال في عملية الاكتساب المعرفي عامة، والاكتساب اللغوي على وجه الخصوص، وترجع أهميتها البالغة إلى ما نقل عن "محمد مكسي" في كتابه "ديداكتيك الكفايات"، حيث يقول بأنها ملكة تجعل المتعلم « قادرا على تنظيم المعلومات التي يتلقاها في مجموعات أو وحدات ذات معنى، وتعد هذه المجموعات المفاهيمية شبكات من العلاقات، وبما أن كل علاقة هي وحدة معنى، فإن كلا من الشبكات أو المجموعات البديلة هي نسيج من المعاني».[2]

وكثيرا ما يتكرر على أسماعنا قول: "فهم السؤال نصف الجواب"، خاصة في الفصول الدراسية، وهذا دليل واضح على أهمية الفهم والاستيعاب في عملية الاكتساب والتعلم، وانطلاقا من ملكة الفهم يمكن إنشاء اللغة سواء من حيث المشافهة (النطق) أو من حيث الكتابة.

6-2- ملكة السمع:

يعد السمع عنصرا فعالا في العملية التعليمية، وقد أثبت أنه متقدم في الأهمية والوظيفة، حيث ورد تقدمه في القرآن الكريم في مواضع كثيرة ونذكر منها قوله تعالى:

---

[1] : نواري سعودي أبوزيد: محاضرات في اللسانيات التطبيقية، ط1، بيت الحكمة للنشر والتوزيع، الجزائر، 2012، ص 62.
[2] : المرجع نفسه: ص 63.

﴿واللهُ أَخْرَجَكُمْ مِنْ بُطونِ أُمَّهَاتِكُمْ لا تَعْلَمُونَ شَيئًا وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ والأبْصَارَ والأفْئِدَةَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ [النحل: 78]

فالفهم لا يكون إلا إذا سمعنا شيئا ما، ويعتبر «السمع أبو الملكات اللسانية»[1] على حد قول "ابن خلدون"، والمرء ينتج الكلام من جنس ما يتلقاه سمعه، ويفسد المسموع من اللسان العربي بمخالطة العجم. وقد قال "ابن خلدون" في هذا المقام: « فمن خالط العجم أكثر كانت لغته من ذلك اللسان الأصلي أبعد، لأن الملكة إنما تحصل بالتعليم...فعلى مقدار ما يسمعونه من العجم ويربون عليه يبعدون عن الملكة الأولى (ملكة اللغة العربية)...».[2]

ويهدف الاستماع والإنصات في عملية التعلم إلى التعرف على حقيقة الصوت اللغوي ودلالاته، ووضع الرموز اللغوية –سواء كانت شفهية أو كتابية– في سياقاتها ومواقفها التخاطبية، ثم إن السمع إذا ارتبط بالمواقف التخاطبية فإنه ينتج ما يسمى في اللسانيات المعاصرة بالوظيفة الانتباهية.[3]

وعليه وجب علينا مراعاة عنصر الاستماع في العملية التعليمية، فالتراجع الملحوظ في نسبة الفهم والاستيعاب لدى المتعلمين ترجع عادة إلى نقص في ثقافة الاستماع للآخر، وعلينا أن نربي حس الإنصات والانتباه لمن يحاورنا ويتحدث معنا. حتى تصل الرسالة وتؤدي الغرض المطلوب.

6-3- ملكة إنشاء اللغة:

إن هذه الملكة نابعة من النظر في وظيفة اللغة التي ننشئها في كل لحظة، والتي تعتبر انعكاسا للوقائع الداخلية والخارجية، وتتجلى هذه الملكة –ملكة إنشاء اللغة– في مظهرين أولهما المشافهة وثانيهما الكتابة.[4]

---

[1] : ابن خلدون: المقدمة، ص 501.
[2] : المرجع نفسه: ص 512.
[3] : نواري سعودي أبو زيد: محاضرات في اللسانيات التطبيقية، ص 67، 68.
[4] : المرجع نفسه: ص 72، 75.

وفي تعلم اللغة أو إنشائها يبدأ الطفل هذا الفعل بالتدريج، فيتكلم الطفل كلمة ثم كلمتين ثم يتطور معجمه اللغوي بعد ثلاث سنوات إلى أن يصبح قادرا على بناء تراكيب وفهم البنى الدلالية[1]. لأن « قبول العلم والاستعدادات لفهمه تنشأ تدريجيا»[2]، وتأتي مرحلة تعلم الكتابة بعد المشافهة وهذا يوضح نمو القدرات العقلية والمعرفية لدى الطفل.

6-4- مهارة القراءة:

نقل "نواري سعودي" تعريف القراءة عن "نبيل عبد الفتاح حافظ" الذي يقول: القراءة تعني « التعرف على الرموز المكتوبة أو المطبوعة التي تستدعي معاني تكونت من خلال الخبرة السابقة للقارئ في صورة مفاهيم أدرك مضامينها الواقعية».[3]

وتقوم القراءة على حاسة البصر وتعني كذلك: الاستعمال اللغوي بشرط حصول ملكة الاستماع وملكة الفهم، والقراءة عملية عقلية معقدة تعتمد على فك الرموز الخطية ونطقها وفهمها، ثم معرفة ما تتركه من أثر في نفس المتعلم.[4]

فالقراءة إذن عملية من العمليات العقلية والحسية، التي يقوم بها الطفل أو المتعلم في الفصل الدراسي بصفة متكررة حتى يكتسب آلية القراءة الجيدة والسليمة.

---

(1) : نواري سعودي أبو زيد: محاضرات في اللسانيات التطبيقية، ص 74، 75.
(2) : ابن خلدون: المقدمة، ص 490.
(3) : نواري سعودي أبو زيد: محاضرات في اللسانيات التطبيقية، ص 85.
(4) : المرجع نفسه: ص 86.

الفصل الثالث: مصطلحات لسانية عند "تشومسكي".

1- تشومسكي والنظرية التوليدية التحويلية.

2- مبادئ النظرية التوليدية التحويلية.

2-1- الكفاية اللغوية والأداء الكلامي.

2-2- مقدرة الإنسان الفطرية ومراحل اكتساب اللغة عند الطفل.

2-3- الكليات اللغوية وتنوع اللغات.

2-4- انتقاد المذاهب السلوكية.

2-5- العودة إلى الأصول العقلانية.

2-6- البنية العميقة والبنية السطحية.

2-7- تخطي الألسنية البنيوية.

3- مفاهيم لسانية في نظرية "تشومسكي" اللغوية.

3-1- مفهوم اللغة.

3-2- مفهوم الملكة اللغوية.

3-1- مفهوم القدرة.

3-4- مفهوم لأداء الكلام (الإنجاز).

4- الفصل بين الكفاية اللغوية والأداء الكلامي.

5- الاكتساب اللغوي عند "تشومسكي"

5-1- مفهوم الاكتساب.

1- تشومسكي والنظرية التوليدية التحويلية:

إن التطرق إلى ما جاء به "تشومسكي" من مبادئ وتصورات حول اللغة والبحث اللغوي عامة، يقتضي بالضرورة التطرق إلى نظريته التوليدية التحويلية التي تعد توجها من التوجهات اللغوية في عالم البحث اللساني الحديث، الذي كان له الأثر الواضح في تطوير اللغة، وانفتاح آفاقها البحثية.

وترجع نشأة المدرسة التوليدية التحويلية، التي تدين بمبادئها وأصولها وتطوراتها المتعاقبة للعالم اللساني "تشومسكي" إلى بداية الخمسينات من القرن المنصرم، وما إن رسخت هذه النظرية أقدامها على خريطة البحث اللساني، حتى تهافت عليها لسانيوا التراث في محاولة لتلمس السبل التي يمكن عبرها الربط بين التراث اللغوي العربي، وبين هذه النظرية الجديدة.[1]

والواضح أن "تشومسكي" في نظريته التوليدية التحويلية، قد تحول عن الألسنية الأوروبية بتجاوزه الكثير من المفاهيم السوسيرية والبراغية، والكوبنهاجينية. وأهم مأخذ يراه على البنيوية الأوروبية، أنها سطحية شكلية، لم تنتبه إلى موضوع البنى العميقة، ولم تلاحظ التحويل الذي يستخدمه المتكلم في تكوين جملة، بل لقد التزمت بأن اللغة قوالب جاهزة، وتعابير مجترة، لأنها بناء جامد، وأن الإنسان لا يمكنه الإبداع في اللغة، وإنما اتخذت من البحث في المجال الألسني مبدأي الوصف والتصنيف، وهذان المبدآن لا يكفيان لإعطاء الصورة الكاملة للنشاط اللغوي الإنساني والعقل البشري، ويرى "تشومسكي" أن دراسة اللغة يجب أن تؤدي إلى معرفة القدرات البشرية وطاقات العقل الإنساني في الإبداع والإنجاز، والملاحظ أن الاختلاف بين في مثل قولنا: ضَرَبَ زيدٌ بكرا، أو ضُرِبَ

[1] : حافظ إسماعيلي علوي: اللسانيات في الثقافة العربية المعاصرة، دراسة تحليلية نقدية في قضايا التلقي وإشكالاته، ط1، دار الكتاب الجديد المتحد، بيروت، لبنان، 2009م، ص 142، 143.

بكر، فالبنيويون يعتبرونها جملتين لا لاختلافهما في الشكل، أما "تشومسكي" فيعدهما واحدة، لاتحادهما في البنية العميقة.[1]

لقد أطلق على هذه النظرية مصطلح (التوليدية التحويلية) فهما مصطلحان مستمدان من: تحويل (Transformation)، وتوليد (Genorative)، وهذا يعني أن الكلام هو قواعد تركيبية وأشكال مجردة نظرية. يستعملها المتكلم بشكل إنسيابي لأنه يطبق قواعد اللغة النظرية، وأن هذا الذي يولد من الجمل يكون على مستويين، مستوى ظاهري وهو ما ينطقه، فهو نسق من الدوال اللغوية، ومستوى داخلي عميق يتعلق بالقضايا المعنوية الدلالية التي يشترك فيهما أبناء اللغة جميعهم، وهذا بما يمتلكه مستعمل اللغة من استعداد وكفاية لغوية، **فالتحويل:** هو عملية نقل المستوى الداخلي إلى المستوى النطقي أو الظاهري، أما **التوليد:** فهو تكوين الجمل أو خلقها، وربط أجزاء الكلام بعضه ببعض.[2]

وكل من التوليد والتحويل مصطلحان لسانيان أطلقهما "تشومسكي" على نظريته لتفسير القواعد التركيبية للغة، والتي تخلق جملا انطلاقا من جمل أخرى. ضمن هذه القواعد التي تسمح بتوليد ما لا نهاية له من الجمل.

فالتحويل إذن مفهوم ينص على إمكانية تحويل جملة معينة إلى جملة أخرى، واعتماد المستوى الأعمق على المستوى السطحي أو الظاهري في الكلام، وبإمكان مفهوم التحويل أن يكشف أيضا، المعاني الضمنية العائدة للجمل. فالتحويل يعتمد عندما تفيد أكثر من جملة واحدة المعنى ذاته، بالرغم من تباين تراكيبها، فنقول إن الجمل هذه متحولة من جملة واحدة موجودة في مستوى البنية العميقة. مثل:

1-يبدو أن كلفة الحياة مرتفعة.

2-تبدو كلفة الحياة مرتفعة.

---

[1] : رشيد عبد الرحمان العبيدي: العربية والبحث اللغوي المعاصر، (د ط)، مطبعة المجمع العلمي، بغداد، 1425 هـ، 2004م، ص 248.

[2] : المرجع نفسه: ص 216.

3-كلفة الحياة تبدو مرتفعة.

فالجملة الأولى والثانية متحولة من جملة واحدة موجودة في مستوى البنية العميقة، وهي:

4- يبدو -مرتفعة كلفة الحياة-.[1]

ويستعمل التوليد في النحو التوليدي بدلالة خاصة، فهو مرتبط بآلة النحوية، وبذلك يأخذ مصطلح التوليد بعدا رياضيا، ما دام الأمر يتعلق باستعمال رموز محدودة، وجهاز قواعد محدود للاشتغال على هذه الرموز، ويميز "تشومسكي" في أعماله الأولى بين القدرة التوليدية القوية التي يقصد بها بناء أوصاف بنيوية للجمل المولدة، ولا يخصص مفهوم التوليد جهاز النحو في النظرية التوليدية؛ أي الآلة الصورية التي يوظفها اللساني لصياغة الأوصاف النحوية للبنى في اللغات الطبيعية، وإنما يحمل هذا المفهوم دلالة أوسع حيث يخصص القدرة اللغوية التي يستنبطها متكلم اللغة الطبيعية.[2]

فالتوليدية التحويلية -على هذا المفهوم- ليست مجرد معايير يقاس عليها الخطأ والصواب، ولا هي وصف لبى لغوية ثابتة غير مستقرة، فهي تنظر إلى مستعمل اللغة على أنه مبدع يولد من التراكيب والجمل ما لا نهاية له، وإذا كان المعياري معنيا بالخطأ والصواب، والوصفي معنيا باستنباط القواعد والأحكام، فإن التوليدي التحويلي، يهمه توليد أو خلق الجمل ناظرا إلى البنى التحتية لها، وناطقا بما يوجبه البناء التحتي من صحة التركيب وقبوله في الصوت والمعنى، ورفض ما كان غير منطقي ولا صحيح البنية.[3]

وعليه فمهمة الباحث اللساني في إطار لنظرية التوليدية التحويلية هو معرفة ذلك التداخل بين البنى، والتكلم بموجب ما صح فيها من تراكيب، ورفض ما هو غير صحيح.

---

(1) : ميشال زكريا: الألسنية التوليدية والتحويلية وقواعد اللغة العربية (الجملة البسيطة)، ط2، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، 1406 هـ، 1986م، ص14.

(2) : مصطفى غلفان وآخرون: اللسانيات التوليدية من النموذج ما قبل المعيار إلى البرنامج الأدنوي، مفاهيم وأمثلة، ط1، عالم الكتب الحديث، الأردن، 1431 هـ، 2010م، ص 474.

(3) : رشيد عبد الرحمان العبيدي: العربية والبحث اللغوي المعاصر، ص 246.

وهذا يعني ترك اللغة تميل مع الناطقين بها حيثما مالوا واستعمال جمل غير صحيحة، وهنا تظهر أهمية استنباط القواعد في المنهج التحويلي، فمهمة العالم اللغوي لا تنحصر في النظر إلى ظاهرة اللغة فقط، وإنما عليه أن يستنبط القواعد الأساسية للغة بأكملها، على أن تكون هذه القواعد ذات صفة توليدية لجميع الجمل الصحيحة والمقبولة من الناطقين لهذه اللغة، وأن تمنع توليد جمل غير صحيحة، وغير مقبولة من الناطقين بتلك اللغة.[1]

فالقواعد التوليدية والتحويلية تهتم مباشرة بأولية اللغة التي تتيح للإنسان أن ينتج جمل اللغة كلها. وعملية الإنتاج هذه منوطة في الأساس بالقواعد التوليدية القائمة ضمن الكفاية اللغوية، والتي تؤدي في حال العمل بها، إلى إنتاج الجمل التي بالإمكان استعمالها في اللغة أو إلى تعدادها.[2]

إن "تشومسكي" وضع عملية إنتاج الجمل بالموازات مع القواعد التي أنتجتها اللغة، والتي تحدد إمكانية استخدامها ضمن مستعملي اللغة الطبيعية، عن طريق الفعل الكلامي الذي يظهر صحة الجمل من خطئها.

فتعتبر القاعدة التوليدية إذا، جزءا من جهاز توليد الجمل، وينحصر مفهوم التوليد بعملية ضبط كل الجمل التي يحتمل وجودها في اللغة وتثبيتها، وجدير بالذكر هنا، أن القواعد تقدم المعلومات اللازمة والضرورية لتوليد كل الجمل الصحيحة والمحتملة الصياغة في اللغة من دون سواها؛ أي أنها تمنع في نفس الوقت توليد جمل غير صحيحة.[2]

وتجدر الإشارة إلى أن النحو التوليدي اشتهر أكثر من غيره من الأنحاء ببناء الأمثلة، ومنها أمثلة المتكلم المستمع المثالي وأمثلة النحو الكلي وأمثلة القدرة اللغوية،

[1] : علي زوين: منهج البحث اللغوي بين التراث وعلم اللغة الحديث، ط1، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، 1986م، ص 45.
[2] : ميشال زكريا: الألسنية التوليدية والتحويلية وقواعد اللغة العربية (الجملة البسيطة)، ص 13.

وأمثلة اللسان المتجانس، وأمثلة استقلالية التركيب، وغيرها من الأمثلة التي أغرم التوليديون ببنائها.[1]

وعليه فالنظرية التوليدية التحويلية جاءت كنظرية عامة للغة ثم أصبحت شيئا فشيئا نظرية نحوية، وذلك ضمن ما فسروه في حدود الجملة، فكانت من أبرز النظريات التي برعت في وضع الأمثلة انطلاقا من أن النحو هيكل يحتم وجود الأمثلة في الدرس حتى تتضح الصورة أكثر.

[1] : محمد محمد العمري: الأسس الابستيمولوجية للنظرية اللسانية البنيوية والتوليدية، ط1، دار أسامة للنشر والتوزيع، الأردن، عمان، 2012م، ص 251.

2- مبادئ النظرية التوليدية التحويلية:

تقوم النظرية التوليدية التحويلية كغيرها من النظريات على جملة من المبادئ والأسس، والتي تمثل الركيزة الأساسية لهذه النظرية في كل جوانبها، وهي على النحو الآتي:[1]

2-1- الكفاية اللغوية والأداء الكلامي.

2-2- مقدرة الإنسان الفطرية، ومراحل اكتساب اللغة عند الطفل.

2-3- الكليات اللغوية وتنوع اللغات.

2-4- انتقاد المذاهب السلوكية.

2-5- العودة إلى الأصول العقلانية.

2-6- البنية العميقة والبنية السطحية.

2-7- تخطي الألسنية البنيوية.

سنبدأ فيمايلي بشرح هذه المبادئ بداية بالكليات اللغوية، أما ما سبقها (الكفاية اللغوية والأداء الكلامي، والاكتساب اللغوي)، فسنشرحها شرحا ضافيا في حينها، لأن الكفاية اللغوية هي النقطة الأساسية التي يدور حولها البحث.

بداية إن المقصود بالكليات اللغوية: يعني أن الطفل في مرحلة اكتسابه للغة يتناول مادة لغوية من لغة كلية محدودة، لها قواعد كلية عامة، تكون هي الأساس لبنية القوانين الكلية العامة للغات، وهي القوانين التي تخضع لها اللغات الخاصة، وتتمثل هذه الكليات في: "الكليات الجوهرية" وهي الأقدار المشتركة بين اللغات، كالكليات العامة للأصوات والأسماء والأفعال والحروف التي تشترك بها اللغات، و"الكليات الصورية" وهي القوانين

[1] : ميشال زكريا: الألسنية (علم اللغة الحديث)، المبادئ والأعلام، ط2، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت، 1403 هـ، 1983م، ص 261.

المشتركة، أما "الكليات التنظيمية" فهي التي تختص بعلاقات ضوابط اللغات الخاصة ببعضها بعض.[1]

وجملة القول إن الكليات الجوهرية تختص بالمفردات المتعلقة بوصف اللغات، في حين تتناول الكليات الصورية خصائص القوانين المؤلفة لقواعد اللغة، أما الكليات التنظيمية فهي تتناول أو مختصة بكيفية ارتباط القوانين بعضها ببعض، وعلاقة المستويات اللغوية فيما بينها.[2] إن هذه الكليات عبارة عن كل متكامل مختص، تعمل كل واحة منها على حدة، لتشكل جوهر الكليات اللغوية، حتى تضمن بناء القواعد العامة للغات في العالم.

ثم إن ''تشومسكي'' ركز على هذه الكليات اللغوية حتى حين أقر بأن اللغات عبارة عن نسيج مادي وشكلي؛ أي من مادة وأشكال واحدة دون أن يعني ذلك وجود مطابقة تامة ودقيقة بين اللغات الخاصة المعروفة. ويذهب البقول إلى أن هدف الألسني هو اكتشاف ما هو مشترك بين اللغات، وما هو متغير بين هذه اللغات.[3]

والمقصود بانتقاد المذهب السلوكي هو أن "تشومسكي" رفض اعتماد الاستقراء منهجا في البحث اللساني الذي تبنته المذاهب السلوكية، كما رفضت نظريته أن يكون الإنسان شبيها بالآلة، وأنه يجب التفريق بين السلوك الإنساني والسلوك الحيواني، فاللغة هي الميزة التي تميز بها الإنسان عن الحيوان والآلة، وهي غير خاضعة لأي حافز وعليه فنظرته العامة تختلف عن النظرة السلوكية التي كانت تلقى رواجا كبيرا قبل ظهور النظرية التوليدية التحويلية.[4]

إن نقد "تشومسكي" للمذهب السلوكي كان نقدا حادا انطلاقا من توجهه الخاص في اللغة، وخاصة فيما تعلق بالمنعكس الشرطي.

---

(1) : ميشال زكريا: الألسنية (علم اللغة الحديث)، المبادئ والأعلام، ص 265.
(2) : ميشال زكريا: الألسنية التوليدية والتحويلية وقواعد اللغة العربية (النظرية الألسنية)، ط2، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت، 1406 هـ، 1986م، ص 87.
(3) : المرجع نفسه: ص 87، 88.
(4) : المرجع نفسه: ص 53، 54.

كما عرف عند السلوكيين، والقائم على المثير والإستجابة، وقضية تعميم النتائج انطلاقا من العينة الواحدة فالتوجه السلوكي لا يصلح أن يكون مبدأ للبحث اللغوي الجاد والمنطقي، خاصة مع تطور الأبحاث في هذا الجانب.

وعلى هذا الأساس فإن "تشومسكي" ذهب إلى القول: « بأنه مهما توسعنا في جمع المادة اللغوية، فليس بإمكاننا أن نعرض لكل تركيب لغوي، لأن المتكلمين قادرون على تأليف تركيبات لم يسبق لهم أن سمعوها من قبل. وعلينا –بناء على ذلك– أن نوجه اهتمامنا إلى قدرة المتكلم التي تتيح له هذا الإبداع اللغوي، وليس إلى الجمل اللغوية نفسها».[1]

والملاحظ أن "تشومسكي" تبنى نموذجا جديدا للتفكير في اللغة. كانت نتيجته إفراز العديد من الإشكالات، أهمها الاهتمام بالجهاز الداخلي الذهني للمتكلم عوضا عن الاهتمام بالسلوك الخارجي. وقد بنى "تشومسكي" نموذجه هذا على القدرة اللغوية والإنجاز والتوليد، وغيرها من المبادئ الأخرى التي قامت عليها نظريته، فالإنسان حسبه يمتلك قدرات خلاقة أهمها "القدرة اللغوية"، فلا ينبغي أن نقصرها على ما هو شكلي وسلوكي فقط، ونجرده من "المعنى" و"الفعل" لأن بداخل الإنسان أصولا لا تميز القدرة عنده، والتي عجزت الفرضيات النظرية للاتجاه السلوكي أن تفسرها، انطلاقا من أن الإنسان مبدع مزود بجملة من القدرات الفطرية الداخلية التي تسمح له باكتساب اللغة بخلاف الحيوان. ومن الخطأ تطبيق مبادئ التعلم التي توصل إليها نتيجة تجارب طبقت على الحيوان.[2]

أما فيما يخص العودة إلى أصول الفلسفة العقلانية: فهذا يعني أنه المبدأ الذي خالفت فيه النظرية البنيوية الأوروبية، حيث اعتمد "تشومسكي" على الألسنة الديكارتية، واتخذ

---

(1) : محمد محمد يونس علي: مدخل إلى اللسانيات، ط1، دار الكتاب الجديد المتحدة، بيروت، لبنان، 2004م، ص 11.

(2) : علي آيت أوشن: اللسانيات والبيداغوجيا، نموذج النحو الوظيفي الأسس المعرفية والديداكتيكية، ط1، دار الثقافة، الدار البيضاء، 1998م، ص 35، 37.

من المبادئ الفلسفية مذهبا في تفسير الظاهرة اللغوية، والاستئناس بمذاهب العقلانيين والنحويين والتقليدين ومدرسة "بور روايال" العقلانية، وذلك لأن هؤلاء ذهبوا إلى أن اللغة الإنسانية تقوم علم على أساس من بنية فكرية عامة لدى الناس جميعا، والأبحاث اللغوية والفلسفية في هذا التقليد –عندهم– مدينة للنحو اللاتيني المعياري والعقائد الرياضية لعصر التنوير.[1]

وهذا يعني أنه يمكن اعتبار "تشومسكي" واحدا من العقلانيين الذين تبنوا الآراء العقلية المنطقية منهجا في البحث اللساني، وذلك بعودته إلى هذه الآراء السابقة للنظرية العامة في اللغة، لكن هذا لا يعني أنه أول من دعا إلى استخدام العقل، والإرتكاز عليه كأساس للدراسة العامة، لكنه أول من دعا إلى الاستناد عليه في البحث اللساني. وحتى يتسم البحث بالدقة يجب أن يعتمد على الآلة الأكثر دقة في الوجود البشري، ألا وهي آلة العقل.

لذا يمكن اعتبار "تشومسكي" من اللسانيين الذين أعادوا إحياء التراث، في معظم ما قام عليه تفكيره اللغوي، بالموازاة مع تبنيه أفكار جديدة في خضم البحث اللغوي.

ومن الأسس أيضا التي اعتمدت عليه النظرية التوليدية التحويلية ما تعلق بالبنية السطحية والبنية العميقة، فهما محوران هامان وأساسيان في دراسة تكوين الجمل، فالبنية السطحية هي الجمل المنطوقة بالسلسلة الصوتية المتتابعة في لسان المتكلم؛ أي البنية الظاهرة أو الفوقية عبر تتابع الكلمات التي ينطق بها المتكلم، أما المقصود بالبنية العميقة أو الداخلية فهي البنى الأساسية التي يمكن تحويلها إلى جمل؛ أي القواعد والضوابط للغة المنطوقة، فالبنية العميقة ترتبط بالبنية السطحية من خلال بعض العمليات العقلية التي تعرف بالقواعد التحويلية.[2]

---

[1] : نهاد الموسى: نظرية النحو العربي في ضوء مناهج النظر اللغوي الحديث، ط1، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، 1400 هـ، 1980 م، ص 10،11.

[2] : ميشال زكريا: الألسنة التوليدية والتحويلية وقواعد اللغة العربية (النظرية الألسنية)، ص 163.

مثال:

- قرأ أخوك الكتاب الموضوع فوق المنضدة البيضاء.

فالجملة السابقة هي البنية السطحية، مع العلم أنها متكونة من بنى عميقة كانت في ضمير المتكلم قبل تحويلها إلى بنية سطحية، والبنى العميقة في هذه الجملة هي:

- قرأ أخوك الكتاب.
- الكتاب الموضوع فوق المنضدة.
- المنضدة البيضاء.

فمن خلال الأمثلة السابقة يظهر معنى التحويل بأنه الانتقال من البنى العميقة إلى بنية سطحية منطوقة، بواسطة قواعد التحويل.[1]

فالقواعد التحويلية إذن، هي صاحبت الفضل في الانتقال من البنى العميقة إلى البنى السطحية، وعلى هذا الأساس كان التحويل أحد العناصر الهامة التي اعتمدت عليها نظرية "تشومسكي" اللغوية.

وللإشارة فقد أدرك "عبد القاهر الجرجاني" إدراكا دقيقا التمييز بين البنية العميقة والبنية السطحية، بل أجاد في ذلك أيما إجادة وذلك « عندما جعل النظم، وهو ما يطلق عليه البنية العميقة في النظرية التوليدية التحويلية، جعله يقتضي في نظمه آثار المعاني، وترتبها على حسب المعاني في النفس».[2]

وقد أكد "البهنساوي" أساسية هذا الرأي بقوله: « القواعد التحويلية، ودورها الهام في إلقاء الضوء على البنية السطحية النحوية المنطوقة، تلك القواعد الفاعلة، والتي تستعين وعملية التحويل للأبنية العميقة بالمكونات التركيبية والدلالية والفونولوجية لم تكن هذه

---

[1] : رشيد عبد الرحمان العبيدي: العربية والبحث اللغوي المعاصر، ص 246.

[2] : حسام البهنساوي: أهمية الربط بين التفكير اللغوي عند العرب ونظريات البحث اللغوي الحديث، (د ط)، مكتبة الثقافة، القاهرة، 1414 هـ، 1994م، ص 36.

القواعد بعيدة عن إدراك عبد القاهر حيث عرضها في كتابه القيم دلائل الإعجاز، وبين دورها الفعال في إلقاء الضوء على التراكيب النحوية».[1]

أخيرا وقبل أن نتطرق إلى الملكة اللغوية وما يتصل بالاكتساب اللغوي عند "تشومسكي"، فإنه من الأسس التي قامت عليها النظرية التوليدية التحويلية –أيضا– ما تعلق بتخطيها الألسنية الأوروبية، حيث نجد "تشومسكي" قد تجاوز كثيرا من المفاهيم البنيوية، وأنه لم يكن بنيويا على وفق ما يرى "بنفنست" فهو يعد آراء "تشومسكي" اللغوية قد بعدت كل البعد عن البنيوية السوسيرية، وذلك لأن أفكاره قد ابتعدت عن النظام والنسق البنيوي الذي دعا إليه "سوسير" في محاضراته، وهذا على عكس "جان بياجيه" الذي يرى أن النظرية التوليدية التحويلية لم تبتعد عن المنهج البنيوي، وأنها خالفتها في بنياتها الأولى كما ظهرت في كتاب "سوسير"، ولكنه يعد مجددا للبنيوية من حيث حصر توليد اللغة في الذات.[2]

وعليه فإلى جانب من قال إن النظرية التوليدية التحويلية جديدة كل الجدة، ومستقلة عن النظريات اللغوية الأخرى. فإن هناك من أقر بأنها امتداد للنظرية البنيوية وغيرها من النظريات السابقة، وهذا صحيح –إلى حد ما– لأنه لا يمكن منطقيا أن تكون الآراء اللغوية في نظرية "تشومسكي" نابعة من العدم. فلابد لها من خلفيات معرفية حول البنية اللغوية بصفة عامة.

ومقارنة بالمنهج البنيوي فالألسني في النظرية التوليدية التحويلية يستمد مادته البحثية من خلال مساءلة حدس متكلم اللغة ولا يلجأ بالتالي إلى المدونة كما يفعل الألسنيون البنيويون، وذلك لأن جمل اللغة لا متناهية غير أن الجمل التي تتكون منها المدونة متناهية.[3]

---

[1] : حسام البهنساوي: أهمية الربط بين التفكير اللغوي عند العرب ونظريات البحث اللغوي الحديث، ص 43.
[2] : رشيد عبد الرحمان العبيدي: العربية والبحث اللغوي المعاصر، ص 247.
[3] : ميشال زكريا: الألسنية التوليدية والتحويلية وقواعد اللغة العربية (النظرية الألسنية)، ص 13.

يقول أحد الدارسين في هذا الصدد: « صحيح أنه لا يمكن فهم تفسير صعود نجم التوليدية دون معرفة أسباب إنهيار البنيوية في اللسانيات والسلوكية في علم النفس، وكل المعارف التي تتصور العمل العلمي نشاطا يقوم على جمع المعطيات، وتصنيفها وربط قوانينها بالتجربة والممارسة، إلا أن طبيعة عملنا لا تسمح بالقيام بهذا النوع من التفسير الذي يتطلب وضع إطار تكون سمته الأولى هي التأريخ للعلم».[1]

إذن وانطلاقا من نقطة بروز المنهج التوليدي التحويلي على ساحة البحث اللغوي الحديث نجد "تشومسكي" في سياسة الهدم التي اتبعها لتبني فكر لغوي جديد، اللجوء إلى إستراتيجية الإقناع الذي بدى للبعض مجرد براعة في السجال، إلا أن الواضح حين تقرأ "لتشومسكي" تحس أنك أمام رجل متنوع المعرفة، لجوج في النقاش، هادف في الجدال، إبستيمولوجي قبل أن يكون لسانيا. والواقع أن هذا ما منحه أساسا صلبا، وسلاحا قويا يربك به الخصوم الذين لم تستطع نظرياتهم أن تصمد أمام جهازه النقدي، الذي يمتلك من الأدوات والأطر ما يمكنه من التغلغل إلى الأسس الضعيفة والمتهالكة.[1]

وانطلاقا من النقطة السابقة. هل يعقل أن تكون النظرية البنيوية ذات أسس ضعيفة ومتهالكة؟ وهي التي فتحت الباب أمام التطور اللغوي وانفتاح البحث اللساني في العالم الغربي والعربي على حد سواء.

صحيح أن النظرية التوليدية التحويلية ذات مبادئ قوية ولها مرجعياتها التراثية ونتاجاتها في عالم البحث اللغوي، لكن هذا لا يعني أن تكون النظريات الأخرى مبتورة القواعد والأسس التي تدعمها، بمجرد قيام تيار نقدي يحاول أن يزعزع آراءها بأفكار جديدة، فسنة الزمن تقتضي الخضوع إلى النشوء والإرتقاء ثم الإنهيار، لكن بصمة الكيان المنهار تبقى موجودة ولها آثارها الواضحة في عالم البحث اللغوي، مهما تعاقبت عليها الأزمنة والعصور.

[1] : محمد محمد العمري: الأسس الابستيمولوجية للنظرية اللسانية البنيوية والتوليدية، ص 129.

3- مفاهيم لسانية في نظرية "تشومسكي" اللغوية:

3-1- مفهوم اللغة:

لقد حدد "تشومسكي" مفهوم اللغة انطلاقا من ما يسميه بالكفاية اللغوية أو الملكة اللسانية، فالكفاية مفهوم اعتمد عليه في إعطاء تعريف دقيق للغة بالموازاة مع توجهه اللساني.

وقد نقل "ميشال زكريا" تعريف اللغة عند "تشومسكي" إذ يقول: إن اللغة «مجموعة جمل كل جملة منها تحتوي على شكل فونتيكي (صوتي) وعلى تفسير دلالي ذاتي يقترن به، والقواعد اللغوية هي التنظيم الذي يفصل التوافق بين الصوت والدلالة».[1]

وكان يرى "تشومسكي" أن أية لغة هي عبارة عن مجموعة محدودة أو غير محدودة من الجمل تابعة لقواعد محدودة؛ أي عدد متناهي من الأصوات والحروف، كما أنه يعتقد أن كل جملة من الجمل يمكن تمثيلها بسلسلة متعاقبة من الأصوات، وعلى الباحث حين يصف لغة ما أن يعرف أيا من هذه السلاسل المتعاقبة محدودة العناصر تشكل جملا، وأيا منها لا تشكل جملا.[2]

وقد فرق "تشومسكي" بين اللغة والكلام كما فعل "سوسير" في النظرية البنيوية، فكان يرى أن « اللغة قدرة متكونة لدى الفرد، والكلام مجموعة من الأصوات اللغوية، التي ينطقها الفرد بالفعل أو الآداء (الإنجاز)»[3] فاللغة خاصية إنسانية مكتسبة.

والواضح أن مفهوم اللغة عند "تشومسكي" يتضمن عدة مسائل وهي على النحو الآتي:[4]

---

(1) : ميشال زكريا: بحوث ألسنية عربية، ص 70

(2) : شحدة فارع وآخرون: مقدمة في اللغويات المعاصرة، ط4، دار وائل للنشر والتوزيع، الأردن، 2008م، ص 14.

(3) : نايف خرما: أضواء على الدراسات اللغوية المعاصرة، (د ط)، سلسلة عالم المعرفة المجلس الوطني للثقافة والفنون والأدب، الكويت، 1978م، ص 108.

(4) : ميشال زكريا: بحوث ألسنية عربية، ص 70.

- اللغة مجموعة لا متناهية من الجمل (عددها غير محدود).
- اللغة أصوات تحتوي على دلالات؛ أي مجموعة أصوات لها معنى.
- اللغة ملكة لسانية؛ أي إنها قدرة في الذات الإنسانية.
- اللغة تنظيم ضمني من القواعد.
- اللغة ميزة إنسانية مكتسبة، بمعنى أنها خاصية في البشر يمكن أن نتعلمها أو نكتسبها.

وكل ما سبق مجموع من القضايا التي احتوى عليها مفهوم اللغة عند "تشومسكي".

فاللغة إذن –عند تشومسكي– ملكة فطرية تكتسب بالحدس، « وإذا كان الإنسان لا يستطيع أن يتكلم باللغة إلا إذا سمع صيغها الأولية في نشأته، فإن سماع تلك الصيغ ليس هو الذي بخلق "القدرة اللغوية" في الإنسان، وإنما هو يقدح شرارتها فحسب، وهذا ما يفسر الطابع الخلاق في الظاهرة اللغوية، وكذلك طابعها اللامحدود».[1]

ولتوضيح مفهوم اللغة أكثر نقول: اللغة ملكة لسانية لدى الإنسان، ذات طابع فطري خلاق، لصيق بالذات الإنسانية، تقوم على مجموعة من الأصوات، ومجموعة من الرموز الخطية لهذه الأصوات، وتحكمها قواعد محدود تضبط السلوك اللغوي، وتمكن من إنشاء عدد لا متناهي من التراكيب والجمل، يمكن لأي إنسان سوي من الناحية الجسدية أو العقلية أن يكتسبها، بالإضافة إلى أنها خاصية فردية يمارسها الفرد من خلال الأداء الفعلي للكلام. كما أنها تعتبر المحرك للمجتمعات الإنسانية انطلاقا من خاصيتها التبليغية التواصلية التي تسمح بالتعارف والانفتاح على الآخر.

[1] : عبد السلام المسدي: مباحث تأسيسية في اللسانيات، ط1، دار الكتاب الجديد المتحدة، بيروت، لبنان، 2010م، ص 196.

3-2- مفهوم الكفاية اللغوية:

لقد وصلنا إلى النقطة المحورية في سياق الحديث عن النظرية التوليدية التحويلية، ولإضفاء نوع من الوضوح استعرضنا سابقا جملة من المبادئ والمفاهيم اللسانية، التي وسمت النظرية التوليدية التحويلية بسمة خاصة ومميزة، فلا يعقل أن نتحدث عن الملكة اللغوية عند "تشومسكي" دون التطرق إلى بعض ما جاء في نظريته اللغوية، ولو بشكل مبسط ومختصر، لأن نظريته العامة قائمة على محاور عدة من بينها الكفاية اللسانية، التي بنى عليها الكثير من تصوراته اللغوية، في النظرية التوليدية التحويلية. فكانت الكفاية اللسانية عند "تشومسكي" بداية لنظرية بأكملها.

ولقد نقل لنا أحد الدارسين ما يشير إليه مصطلح الكفاية اللغوية لدى "تشومسكي" حيث يقول: « هي قدرة المتكلم – المستمع المثالي على أن يجمع بين الأصوات اللغوية وبين المعاني في تناسق وثيق مع قواعد لغته».[1]

فالكفاية اللغوية قدرة أو استطاعة تمكن الإنسان من إنشاء اللغة، عن طريق الكلام الذي يتشكل من أصوات لغوية لها معاني مختلفة ورسوم خطية معينة، تخرج بالفعل مع احترام القواعد التي تحكم وتضبط لغة المتكلم.

وعليه فالكفاية اللغوية (الملكة اللسانية) عند "تشومسكي" هي قدرة الفرد على إنتاج وفهم الجمل، وهي قدرة انطبع عليها الفرد منذ طفولته وخلال مراحل اكتسابه اللغة، والعملية اللغوية ملكة لا شعورية في مفهوم "تشومسكي" آنية يؤديها متكلم اللغة اعتمادا على القواعد الضمنية التي تربط بين المعاني والأصوات اللغوية.[2]

[1] : ميشال زكريا: الألسنية التوليدية والتحويلية وقواعد اللغة العربية (النظرية الألسنية)، ص 32.
[2] : علي زوين: منهج البحث اللغوي بين التراث وعلم اللغة الحديث، ص 44.

3-3- مفهوم القدرة:

القدرة هي مجموع القواعد الضمنية التي يتوافر عليها المتكلم، وتجعله قادرا على إنتاج وتأويل مالا حصر له من الجمل النحوية، ولا شيء غير الجمل النحوية، إن القدرة هي المعرفة اللغوية التي يدخلها كل فرد متكلم بلغة في شكل قواعد.[1]

فالقدرة إذن هي حصيلة القواعد اللغوية التي تساعد متكلم اللغة على أن يكون جملا صحيحة ولا متناهية يمكن فهمها وتأويلها.

3-4- مفهوم الآداء الكلامي (الإنجاز):

الآداء أو الإنجاز هو الاستعمال الآني للغة ضمن سياق معين، وهو حصيلة عمل الآلية اللغوية.[2] فهو القيام بالفعل الكلامي من طرف المتكلم حين يستدعي الأمر ذلك الفعل.

فالإنجاز إذن هو التنفيذ العملي لقواعد القدرة وآلياتها، إنه التحقيق الفعلي للقواعد الضمنية التي يملكها الفرد المتكلم عن لغته، غير أن الإنجاز ليس دائما صورة مطابقة للقدرة الضمنية التي تتسم بطابع التجريد العام، فهناك مجموعة من العوامل التي تتدخل في الإنجاز، مما يقود إلى عدد من التغييرات المتفاوتة الأهمية في بنيات الأقوال بالقياس للقدرة المتجانسة والمثالية.[3]

والأداء مرتبط ارتباطا وثيقا بالمتكلم، الذي يعتبر المحرك للفعل الكلامي، من خلال الجمل التي يقوم بأدائها في موقف تخاطبي معين.

وفي الأداء الكلامي يعود المتكلم إلى القواعد الكامنة ضمن كفايته اللغوية كلما استخدم اللغة في مختلف ظروف التكلم، وتتغير صورة الكلام المتلفظ به من شخص

---

[1] : مصطفى غلفان وآخرون: اللسانيات التوليدية من النموذج ما قبل المعيار إلى البرنامج الأدنوي، ص 41.
[2] : نعمان بوقرة: اللسانيات، اتجاهاتها وقضاياها الراهنة، ص 149.
[3] : مصطفى غلفان وآخرون: اللسانيات التوليدية من النموذج ما قبل المعيار إلى البرنامج الأدنوي، ص 42.

لآخر، تبعا لعوامل عديدة كالإنتباه والتعب والإنفعال، ذلك أن الأداء الكلامي وإن كان ناجما عن الكفاية اللغوية، فإنه يتضمن في حقيقة الأمر عدد من المظاهر الطفيلية، وترجع هذه المظاهر الطفيلية إلى عوامل مترابطة خارجة عن إطار اللغة، نذكر منها العوامل السيكولوجية (كضعف الذاكرة، الانفعال، عدم الانتباه) وعوامل سوسيو-ثقافية (كالانتماء إلى مجموعة اجتماعية، طريقة التدريس اللغوي).[1]

[1] : ميشال زكريا: الألسنية التوليدية والتحويلية وقواعد اللغة العربية (الجملة البسيطة)، ص 08.

4- الفصل بين الكفاية اللغوية والأداء الكلامي:

لقد ظل التوليديون، وعبر مختلف نماذجهم، يركزون على نفس القضايا، المتمثلة في المظهر الإبداعي للمعرفة اللغوية والتمييز بين ما ينتمي إلى القدرة وبين ما ينتمي إلى الإنجاز، و اعتبار القدرة كنسق متميز عن كل الأنساق التي تتداخل معه أثناء الإنجاز، فهي المجال الذي يجب أن تراهن النظرية على تفسيره. إسهاما منها في فهم الطبيعة البشرية وموضوع النظرية الأول هو المتكلم المثالي؛ أي ذلك الذي يعتبر عنصرا في مجموعة لغوية متجانسة، ويعرف لسانه معرفة جيدة.[1]

إن النظرية التوليدية التحويلية اهتمت كثيرا بموضوع التمييز بين الكفاية اللغوية والأداء الكلامي لاختلافهما في المفهوم والمنهج، وذلك لأجل فهم الطبيعة الإنسانية التي تجمع بين عنصر القدرة وعنصر الأداء في إطار العملية اللغوية.

فالكفاية اللغوية هي المعرفة الضمنية باللغة، بينما الأداء الكلامي فهو الاستعمال الآني للغة ضمن سياق معين، وينجم عن هذا التمييز اعتبار الأداء بمثابة الانعكاس المباشر للكفاية اللغوية.[2]

ثم إن الأداء الكلامي لا يتحقق بالفعل إلا بعزل المتكلم عن مجموع المؤثرات التي تتداخل مع الكفاية اللغوية، فالأداء اللغوي أو الجمل المنتجة التي تبدو في فونيمات ومورفيمات تنتظم في تراكيب جملية خاضعة للقواعد والقوانين اللغوية الكامنة والمسؤولة عن تنظيم هذه الفونيمات والمورفيمات في تراكيب. فالأداء هو الوجه الخاص أو المميز الذي يظهر في شكل الكلام المنطوق للمعرفة الضمنية الكامنة.[3]

إضافة إلى ذلك فإن الكفاية اللغوية تعود إلى منطقة اللاوعي عند الإنسان؛ أي اتصافها بالطابع اللاشعوري، فترتد اللغة إلى عملية تحقيق ضمني ولا شعوري للسياق

---

(1) : محمد محمد العمري: الأسس الابستيمولوجية للنظرية اللسانية البنيوية والتوليدية، ص 231.
(2) : ميشال زكريا: الألسنية التوليدية والتحويلية وقواعد اللغة العربية (الجملة البسيطة)، ص 33.
(3) : خليل أحمد عمايرية: في نحو اللغة العربية وتركيبها، منهج وتطبيق، ط1، عالم المعرفة للنشر والتوزيع، 1984م، ص 58.

الذي يعيه متكلم اللغة بقدر ما ينطق به، أما الكلام المنطوق والملفوظ فيرتد إلى الأداء الكلامي، فالكفاية إذن امتلاك الآلية اللغوية، بينما الأداء هو حصيلة عمل هذه الآلية. والبحث في الأداء يتطلب أخذ المواقف بعين الاعتبار وتحليلها ودراسة دوافعها السلوكية، كما يتطلب البحث في الكفاية باعتبارها القدرة المجردة على الإنتاج التوصل إلى وضع القواعد الكامنة فيها، والتي تمكن من إنتاج الجمل وإدراكها.[1]

وعليه فالكفاية اللغوية والأداء الكلامي مفهومان محوريان من المفاهيم التي أنتجتها النظرية التوليدية التحويلية، يدل كل واحد منهما على معنى مختلف عن الآخر، والواضح أن الكفاية اللغوية هي التي تخلق القدرة على الأداء، وبمراعاة المواقف اللغوية يستطيع الفرد أن ينمي بداخله القدرة أو الملكة التبليغية التي تسعى إلى خلق تواصل أمثل في العملية التخاطبية.

[1] : ميشال زكريا: الألسنية التوليدية والتحويلية وقواعد اللغة العربية (النظرية الألسنية)، ص 34، 35.

5- الاكتساب اللغوي عند "تشومسكي":

تعد قضية الاكتساب اللغوي من أهم القضايا التي ناقشتها النظرية التوليدية التحويلية، لما لها من علاقة بالكفاية اللغوية، والأداء الكلامي، ويمكن أن نعتبر رأي "تشومسكي" في نظريته اللغوية حول هذه القضية كرد فعل لما جاء في المذاهب السلوكية، التي فسرت الظاهرة اللغوية على أساس السلوك فقط.

ولقد ذهب "تشومسكي" مذهبا بعيدا عن مذهب المدرسة السلوكية التي تجعل من الإنسان مجرد آلة، واللغة في منظورهم مجرد عادات صوتية يكيفها عالم البيئة لكي يتحقق اكتسابها. فالمتكلم عند السلوكيين يسمع الجمل فتتولد لديه استجابة كلامية وكأن اللغة فعل ورد فعل آلي، فقد اعتبروا اللغة سلوكا من السلوكات الإنسانية، لذا لم يفرقوا بين تعلم اللغة وتعلم أية مهارة سلوكية أخرى. إضافة إلى اعتمادهم مبدأ التعميم في الاستعمال اللغوي عند الطفل واعتبروا السلوك الخارجي مادة التحليل اللساني، دون مراعاة العمليات الداخلية لهذا السلوك، وهذا ما رفضه "تشومسكي" لأنه يعتبر ملكة اللغة قدرة فعالة وفطرة خاصة بالإنسان[1]، وقد حاول أن يشرح اللغة ويعلل أسبابها من الداخل وليس من الخارج، وحجته في ذلك التعلم السريع والمتطور للغة عند الطفل دون النظر إلى العوامل الخارجية التي تتدخل في عملية التعليم، سواء كانت بيئية أو مبنية على الجنس، ويضيف "تشومسكي" في هذا المضمار أن أية محاولة لشرح الظاهرة اللغوية برؤية سلوكية، إنما هي تجاهل للخلق اللغوي عنده.[2]

وقد وافق أحد الدارسين ما ذهب إليه "تشومسكي" في نقد المذهب السلوك. حيث يقول: « والاعتقاد أن مفهوم اللغة كسلسلة وحدات قائمة على العادات الكلامية، وما يذهب

[1] : مازن الوعر: (حول بعض القضايا الجدلية لنظرية القواعد التوليدية التحويلية)، مجلة اللسانيات، عدد 6، (د ت)، ص 73.
[2] : المرجع نفسه: ص 75.

إليه أصحاب المذهب السلوكي لا يتوافق مع الخاصية الإبداعية في اللغة، كما أنه لا يراعي حقيقة الإنسان العقلية الكامنة وراء كل سلوك فعلي».[1]

5-1- مفهوم الاكتساب:

الاكتساب: هو عملية فطرية يقوم فيها الطفل في إطار غير رسمي؛ أي خارج مؤسساتي بحيازة اللغة ونحوها، دون أن يعرف عدم إدراكه لجملة القواعد والقوانين التي تحكم المحتوى المكتسب.[2]

فالاكتساب إذن عملية مستمرة ومتسلسلة خلال الفترة العمرية التي يمر بها الإنسان، فهي سيرورة يتم من خلالها اكتساب اللغة الأم بالنسبة للطفل، أو اللغة الثانية عند الإنسان أو المتعلم.

ففي عملية الاكتساب لا يحتاج الطفل إلى تعليم مقصود ومبرمج أو تدريب منهجي لإنجازها، والطفل لا يمكن له أن يستمع إلى جميع الجمل في لغته ومع ذلك فإنه يفهم جملا يقولوها الكبار، ولم يسبق له أن سمعها وهذا ما يعني أن الطفل يتوصل في أثناء مسيرته اللغوية إلى قواعد وقوانين تسمح له باستخدام اللغة بشكل مبدع وخلاق. دون أن يعلمه أياها أحد، وهذا ما يبرر صفة الإبداعية في اللغة باعتبارها ميزة إنسانية. والعلم الذي يبحث قضية الاكتساب اللغوي هو علم اللغة النفسي، الذي يعنى بتطور النمو اللغوي وعلاقة ذلك بالدماغ والذكاء والشخصية...إلخ.[3]

وبالإضافة إلى اكتساب القواعد اللغوية أو ما يعرف بالكفاية اللغوية (Linguistic Competence)، يقوم الأطفال باكتساب القواعد والضوابط الاجتماعية المناسبة في مجال الاستخدام اللغوي أو ما يعرف بالكفاية التواصلية (Communicative Competence

(1) : ميشال زكريا: الألسنية التوليدية والتحويلية وقواعد اللغة العربية (النظرية الألسنية)، ص 54.
(2) : علاء الجبالي: لغة الطفل العربي، دراسة في اكتساب اللغة وتطورها، (د ط)، مكتبة الخانجي، القاهرة، 2003م، ص 55، 56.
(3) : شحدة فارع وآخرون: مقدمة في اللغويات المعاصرة، ص 217، 218.

)، ومن ذلك قواعد تقديم الشكر والتحية والتعبير عن الرفض...إلخ، والكلمات المحظورة (Taboo Words) وأساليب الخطاب أو ما نقصده بقولنا: لكل مقام مقال.[1]

ويعتبر "تشومسكي" رائد النظرية الفطرية في اكتساب اللغة، حيث يرى بأن الطفل يولد وهو مزود بقدرة فطرية موجودة في الدماغ على اكتساب اللغة.[2]

والواضح أن نظرية التعلم في المجال اللغوي كما أكدها "ميشال زكريا" تهتم «بتحديد المجالات القائمة ضمن القدرة المعرفية، وفي تحديد ما هو فطري في عملية الاكتساب اللغوي. وذلك لأن القدرات الفطرية، وفي نظر تشومسكي، هي التي تجعل من عملية الاكتساب عملية بالإمكان إنجازها».[3]

"فتشومسكي" إذن كان يرى عملية الاكتساب من الوجهة الفطرية. على أساس أن الطفل مخلوق بقدرات متمكنة في دماغه يمكن أن يسخرها في اكتساب اللغة الأم (اللغة الأولى) أو اللغات الأجنبية.

والمتمعن في مصطلحي الاكتساب والتعلم يجد أن بينهما فروقا حتى وإن كان يرى البعض بأنهما مترادفان: فالتعليم « عملية منظمة خاضعة للبرمجة، وللدوافع التي تحرك العملية والأهداف المتوخاة منها، ومجموع الوسائل المتخذة في تحقيقها كما أن المتعلم يكتسب ما يريد أو يراد له اكتسابه عن وعي وإدراك».[4]

وقد نقل لنا "نواري سعودي أبو زيد" قول "أحمد محمد عبد الخالق" في تفريقه بين الاكتساب والتعلم بقوله: « الوعي والتخطيط هما ما يفرق تفريقا جوهريا بين التعليم والاكتساب الاجتماعي في خضم ما يتلقاه الإنسان من مكونات ثقافته، وإن كان بعض

---

(1) : شحدة فارع وآخرون: مقدمة في اللغويات المعاصرة، ص 218.
(2) : المرجع نفسه: ص 235.
(3) : ميشال زكريا: الألسنية التوليدية والتحويلية قواعد اللغة العربية (النظرية الألسنية)، ص 65.
(4) : نواري سعودي أبو زيد: محاضرات في اللسانيات التطبيقية، ص 32.

الدارسين في علم النفس يرادفون بين مصطلحي التعلم والاكتساب في أي جانب من جوانب الحياة».[1]

لقد عرف البحث اللساني مبدأ يشير إلى قدرة الطفل على اكتساب أية لغة بشرية، ويسمى هذا المبدأ بالقواعد العالمية (Universal Grammar)، ويعتبر هذا الأخير أساس النظام النحوي الذي تقوم عليه جميع اللغات البشرية، وهذا ما سعى "تشومسكي" إلى تحقيقه.[2]

عموما تبقى قضية الاكتساب أو التحصيل من المواضيع المبدئية في الدراسات الإنسانية قاطبة، والدراسات اللسانية بصفة خاصة. كما أن الاكتساب من القضايا المعرفية ذات الطابع الشمولي سواء في توفيره نموذج تقاطع الاختصاصات واشتراك المعارف والعلوم، أو في اتصاله بقضايا التنظير والتأسيس والمواضعة التطبيقية في آن معا.[3]

وهذا ما جعل "تشومسكي" يركز على مسألة الاكتساب اللغوي واعتباره أساسا من أسس نظريته في مجال البحث اللساني، فاتصاله المباشر بالعلوم الإنسانية عموما واللغوية على وجه الخصوص جعله محط نظر "تشومسكي" انطلاقا من اعتبار اللغة خاصية إنسانية مكتسبة.

(1) : نواري سعودي أبو زيد: محاضرات في اللسانيات التطبيقية، ص 32.
(2) : شحدة فارع وآخرون: مقدمة في اللغويات المعاصرة، ص 236.
(3) : عبد السلام المسدي: اللسانيات وأسسها المعرفية، (د ط)، الدار التونسية للنشر، تونس، 1986م، ص 139.

الفصل الرابع: بين "تشومسكي" و"ابن خلدون" –رؤية مقارنة–.

1- التوليدية التحويلية بين "تشومسكي" والتراث اللغوي العربي.

2- بين "ابن خلدون" و"تشومسكي" –مقاربة وتقييم–.

3- الكفاية (الملكة) التواصلية.

3-1- الملكة اللغوية.

3-2- الملكة المنطقية.

3-3- الملكة المعرفية.

3-4- الملكة الادراكية.

3-5- الملكة الاجتماعية.

1- التوليدية التحويلية بين "تشومسكي" والتراث اللغوي العربي:

كثيرا ما تتقاطع اللسانيات الحديثة وفي العديد من المسائل مع التراث اللغوي العربي، ويعد "تشومسكي" واحدا من اللسانيين المعاصرين الذين سعوا إلى تطوير ما وصلت إليه نتاجات الباحثين في هذا المجال، فكان صاحب نظرية تقوم على مبادئ مستلهمة من التراث القديم.

وقد كان للمنطق في منهج "تشومسكي" أثر واضح في التحليل وتفسير الظواهر اللغوية، وهو من هذا الجانب يقترب من الدراسة اللغوية العربية في التعليل والقياس والمنطق والجدل، ولكنه يركز في مبادئ منهجيته على قيم بحثية خالف فيها "سوسير" فقد أكد أن اللغة نشاط وقدرة في البشر، وأن الكلام أصوات ينطقها الفرد حيث يريد تنفيذ تلك القدرات. وإذا ترسخت في أعماقه القواعد الأساسية للغة التي يشترك فيها كل أفراد المجموعة اللغوية، وهي البنية العميقة لأية لغة، فإنه يستطيع أن ينتج عددا غير محدود من الجمل، وهذه إشارة إلى ما سماه "تشومسكي" بـــ: "خاصية الإبداع" التي تميز مستعمل اللغة.[1]

ولقد عرض "حسام البهنساوي" المنهج التوليدي التحويلي عرضا ضافيا، ومما انتهى إليه أن « نظرة مقارنة دقيقة بين الأسس التي اعتمدت عليها المدرسة التوليدية التحويلية، وبين القواعد النحوية التي أرساها العلماء العرب، لتؤكد لنا أن النحو العربي لم يكن بعيدا عن هذه الأسس والأفكار»[2]، وهذا ما أكده "عبده الراجحي" الذي وجد أن « طريقة النحو التوليدي تتبع عددا من "العمليات النحوية" تشبه شبها غير بعيد كثيرا مما جاء في النحو العربي».[3]

---

[1] : رشيد عبد الرحمان العبيدي: العربية والبحث اللغوي المعاصر، ص 215.
[2] : حسام البهنساوي: أهمية الربط بين التفكير اللغوي عند العرب ونظريات البحث اللغوي الحديث، ص 30.
[3] : عبده الراجحي: النحو العربي والدرس الحديث، بحث في المنهج، (د ط)، دار النهضة العربية، بيروت، 1406 هـ، 1986م، ص 140.

وفي سياق الحديث عن التقاربات بين اللسانيات الحديثة – نظرية تشومسكي على وجه التحديد– والتراث العربي نجد أن أحد الدارسين يلاحظ « أن مجمل استدراك "تشومسكي" على البنيويين مستشعر في استطلاعات سيبويه في "باب اللفظ والمعنى" من أوائل كتابه».[1]

وكدليل على التقارب بين ما جاء به "تشومسكي" في النظرية التوليدية التحويلية، وما وجد في التراث النحوي العربي ما أكده "الراجحي" حين خصص فصلا كاملا من كتابه "النحو العربي والدرس الحديث" لغرض إبراز أوجه القرابة والتماثل بين اللغويين ومنهج التوليديين. قضية قواعد الحذف التي يراها مشتركة بين المنهجين، فالطريقة التي يقدمها المنهج التحويلي في تفسير ظاهرة الحذف قريبة جدا إلى ما قدمه النحاة العرب، حيث « التفت النحاة القدماء إلى ظواهر الحذف ووضعوا لها قواعد مبنية على إدراك الاستعمال العربي، وليس على مجرد التقدير المتعسف».[2]

ويبرر "الراجحي" قوله بما جاء عند "سيبويه" الذي يقول في هذا المضمار « اعلم أنه ليس كل حرف يظهر بعده الفعل يحذف فيه الفعل، ولكنك تضمر بعدما أضمرت فيه العرب من الحروف والمواضع وتظهر ما أظهروا، وتجري هذه الأشياء التي هي على ما يستخفون بمنزلة ما يحذفون من نفس الكلام، ومما هو في الكلام على ما أجروا، فليس كل حرف يحذف منه، ويثبت فيه نحو يك ويكن، ولم أُبلْ وأُبَالِ، ولم يحملهم على ذاك على أن يفعلوه بمثله، ولم يحملهم إذا كانوا يُثْبتون فيقولون في مُرْ أومُرْ أن يقولوا خُذْ أُوخُذْ وفي كُلْ أوكُلْ فقف على هذه الأشياء حيث وقفوا ثم فسر».[3]

---

[1] : نهاد الموسى: نظرية النحو العربي في ضوء مناهج النظر اللغوي الحديث، ص 46.
[2] : عبده الراجحي: النحو العربي والدرس الحديث، ص 150.
[3] : سيبويه: الكتاب، تحقيق وشرح عبد السلام محمد هارون، ط3، مكتبة الخانجي، القاهرة، 1408هـ، 1988م، ج1، ص 265، 266.

ثم انتهى "الراجحي" في غمار حديثه عن التقارب بين نظرة النحاة العرب القدامى ونظرة "تشومسكي" إلى أن كلام العرب يوحي بشيء قريب من فكرة البنية العميقة عند التحويليين.[1]

والمنهج التوليدي التحويلي منهج أشبه بأن يكون منهج النحو التقليدي العربي، لما اتصف به من الشكلية. فالدراسات العربية اعتمدت مثلا وقيما عرفها النحويون العرب، كقواعد الاستدلال والموقعية والتقديم والتأخير والحذف كما أشرنا إليه سابقا، والزيادة وتأثير العامل في المرفوع والمنصوب والمجرور والفروع والأصول، وهذه كلها تقترن بالبنية العميقة، وما ينتجه مستعمل اللغة العربية أثناء نطقه.[2]

فالمنهج التوليدي التحويلي على هذا الأساس. صورة مستوحاة من عمق الدراسة اللغوية في التراث العربي القديم.

وتجدر الإشارة إلى أن معالم التوليد والتحويل قد برزت عند العرب، حين درسوا اللغة من جوانبها البلاغية، وأصول الكلام وعلم المنطق ولعل الأصوليون والبلاغيين يمثلون سبق المحاولات في دراسة اللغة من تحويلية "تشومسكي"[3]، بل يمكن القول: إن اطلاع "تشومسكي" على النحو العبري والنحو العربي، مما ترجم منه عن طريق نحاة الأندلس يجعل من الممكن أن نفترض تأثر "تشومسكي" والمدرسة التحويلية بالدراسات اللغوية العربية القديمة.[4]

فهذه النظرية ليست جديدة في عالم البحث اللغوي ولا سيما في الدراسات العربية. وتحضر جوانب التشابه بين "عبد القاهر الجرجاني" و"تشومسكي" في لسانيات التراث في جوانب كثيرة منها ما تعلق بالتوليد والقدرة والبنية السطحية والبنية العميقة وغيرها من المسائل الأخرى، ونذكر على سبيل المثال ما تعلق بالجانب النحوي فقد حولت النظرية

---

[1] : عبده الراجحي: النحو العربي والدرس الحديث، ص 152.
[2] : رشيد عبد الرحمان العبيدي: العربية والبحث اللغوي المعاصر، ص 217، 218.
[3] : المرجع نفسه: ص 218.
[4] : علي زوين: منهج البحث اللغوي بين التراث وعلم اللغة الحديث، ص 44.

التوليدية منهج الدراسة اللغوية من دراسة اللغة إلى دراسة النحو، فقد ركز على اعتبار اللغة كيانا ذهنيا، وهذا ما تنبه له الجرجاني.[1]

وقد كان "عبد المطلب" يرى بأن « مفهوم النحو الجرجاني يأخذ شكلا عقليا – كما هو عند تشومسكي– وليس مجرد وسيلة اتصال تستعين بها اللغة في أداء وظيفتها الأساسية، وهذا الشكل العقلي هو الذي أتاح إمكان رصد الطاقات النحوية الفاعلة، ولوجا إلى القيمة الحقيقية لعملية التوليد الجملي عند الرجلين، وإن كان تشومسكي قد بدأ بالجملة وصولا إلى المفرد، في حين بدأ عبد القاهر بالمفرد وصولا إلى الجملة».[2]

وفي خضم الحديث عن التقارب بين ما وصلت إليه اللسانيات المعاصرة وما أنتجه التراث اللغوي العربي نجد أحد الدارسين يقول: « ومهما حاولنا استقصاء أوجه التماثل والتقريب، بين مبادئ التراث ومبادئ اللسانيات فإننا لن ننتهي إلى حصر جامع مانع، بالنظر إلى انفتاح مناهج اللغويين العرب، وهو انفتاح يجعل هذه المناهج قابلة لاحتضان كل المقاربات اللسانية المعروفة، وحتى تلك التي ستعرف».[3]

وهذا ما نفهمه من كلام "تمام حسان" الذي يقول أن: « مناهج اللغويين العرب من السلف تحمل في طيها الاستقراء، والتصنيف والتجريد والحتمية والوصفية، وربط الصوت بالمعنى والمقارنة والتدريج، والمعيارية والتفسير وتحقيق صدق النتائج، وغير ذلك من اتجاهات المناهج»[4]. وستظل القائمة مفتوحة بانفتاح النظر اللساني والتأويل الإنساني، وقابلية التعاطي مع المعطيات الجديدة، والتمسك بمبادئ قديمة توحي بنظرات استشرافية واعية.

---

(1) : حافظ إسماعيلي علوي: اللسانيات في الثقافة العربية المعاصرة، ص 181.
(2) : محمد عبد المطلب: (النحو بين عبد القاهر وتشومسكي) مجلة فصول، العدد 1، المجلد 5، ديسمبر 1984م، ص 34.
(3) : حافظ إسماعيلي علوي: اللسانيات في الثقافة العربية المعاصرة، ص 154.
(4) : تمام حسان: (اللغة العربية والحداثة)، مجلة فصول، العدد 3، المجلد 4، ج1، 1984م، ص 131.

2- بين "ابن خلدون" و"تشومسكي" – مقاربة وتقييم-:

تصادف الدارس اللساني كثير من المواقف التي يجد فيها نفسه مرغما على إجراء مقارنات جدية، خاصة بين ما وصلت إليه اللسانيات الحديثة من تطورات، وبين ما تركه القدماء من إرث لغوي وحضاري نابع عن تفكيرهم اللغوي لحقبتهم الزمنية، بكل ما حوته من مستجدات لغوية سادت في عصرهم. وهذا ما جعلهم يطلعون بفكرهم على مبادئ وأسس لغوية أفضت إلى نتاجات قيمة. أصبحت فيما بعد أو في عصرنا هذا نقطة انطلاق للدراسات اللغوية المعاصرة.

قد يستغرب البعض كيفية إجراء مقارنة جادة وهادفة بين نظريتين أو بين عالمين اختلفا في الزمان والمكان وكيفية التفكير، وحتى في المادة المدروسة، لكن الواقع اللغوي وبما تضمنه من أفكار ونظريات حديثة ذات أبعاد تاريخية فرض هذا النوع من التفكير، لأنه ومهما تطورت الدراسات وتمكنت بنتاجها أن تخرق أفق التوقع، يستحيل وبأي شكل من الأشكال أن تكون وليدة العدم. فالمعطى المتوفر لدى الدارسين هو الذي سمح بإمكانية بناء نظرة توافق أو نظرة اختلاف في وجهات نظر بين عالم وآخر أو نظرية وأخرى.

ويعتبر "تشومسكي" عالم لساني معاصر. عرف بإحيائه لجملة من المفاهيم العائدة إلى القواعد الفلسفية أو اللسانية الديكارتية، كما أشار في مؤلفاته الأخيرة إلى أن علم اللغة فرع من علوم أخرى أطلق عليها اسم "علم النفس الإدراكي"، وهذه المؤلفات هي "مظاهر النظرية النحوية" و"علم اللغة الإدراكي" و"اللغة والعقل".[1]

كما صرح "تشومسكي" بأن اللسانيات الحديثة وقعت في خطأ حينما حاولت أن تبتعد عن التراث اللغوي. ودعا إلى ضرورة العودة إلى القضايا التي أثارها القدامى وإعادة استكشافها وسبر أغوارها وتبني منطلقاتها العقلانية.[2]

---

[1] : جون ليونز: نظرية تشومسكي اللغوية، ترجمة وتعليق حلمي خليل، ط2، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، 1995م، ص 207.
[2] : ميشال زكريا: الألسنية (علم اللغة الحديث)، المبادئ والأعلام، ص 266.

على هذا الأساس ليس بعيدا أن تكون تصورات "تشومسكي" حول نظريته التوليدية التحويلية نابعة من التراث اللغوي القديم خاصة ما تعلق بالملكة اللسانية التي تعتبر أساسا من الأسس التي تقوم عليها نظريته.

وقبل أن نقرأ التراث اللغوي ونستوعبه، وجب علينا أن نقف موقفا وسطا، وأن نقرأه قراءة معاصرة مزدوجة تستوعب طرفين أحدهما هذا التراث، والآخر علم اللغة الحديث من أجل تبني مناقشة جادة وقراءة مقارنة واعية قائمة على التفاعل العضوي[1]، بشرط أن لا تفضي هذه المناقشة إلى جدال عقيم لمجرد خلق النزاع بين طرفين تكون اللغة مبدأه، وذلك من أجل الوصول إلى « إدخال مفاهيم اللسانيات مع مفاهيم التراث في جدال خصيب يخرج لنا ثمارا مفهومية جديدة وحصيلة معرفية متفردة، ليست بصورة مشوهة للتراث ولا هي صورة منسلخة من اللسانيات، وإنما هي عطاء نوعي بلا قادح».[1]

إن المتأمل في تعريف كل من "ابن خلدون" و"تشومسكي" للغة سيجد أن كليهما يشترك في قضيتين أساسيتين طالما كانتا من المبادئ التي تقوم عليها النظرية التوليدية التحويلية، ونقصد بالذكر:

- اللغة بوصفها ملكة لسانية.
- اللغة بوصفها ميزة إنسانية مكتسبة.

وفي خضم الحديث عن تعريف "ابن خلدون" للغة والمسائل التي قارب فيها بعض المسائل التي تناولها "تشومسكي" في نظريته. يقول "حسام البهنساوي": « إن تعريف ابن خلدون للغة تعريف دقيق، يتفق في كثير من جوانبه مع أحدث ما توصلت إليه قرائح علماء اللغة الغربيين المعاصرين، على الرغم من التباعد الزمني فيما بينه وبينهم».[2]

[1] : عبد السلام المسدي: مباحث تأسيسية في اللسانيات، ط1، دار الكتاب الجديد المتحدة، بيروت، لبنان، 2010م، ص 28.
[2] : حسام البهنساوي: أهمية الربط بين التفكير اللغوي عند العرب ونظريات البحث اللغوي الحديث، ص 11.

والواضح من هذا القول أن صاحبه لما تحدث عن اتفاق تعريف "ابن خلدون" للغة مع أحدث التعريفات للغة، قد كان يخص بالتحديد تعريف "تشومسكي" الذي حدده من خلال الكفاءة اللغوية والأداء الكلامي؛ كما يرى "ميشال زكريا" أيضا أن تعريفه « قد تضمن عددا مهما من المسائل الألسنية الأساسية»[1]، ومجمل هذه المسائل بالنظر إلى النظرية التوليدية التحويلية هما مسألة الملكة ومسألة الاكتساب اللغوي، وقد سبق ذكرهما.

إن المتمعن في المبادئ اللسانية لكل من "ابن خلدون" و"تشومسكي" يلاحظ أن "الملكة" هي النقطة المشتركة بينهما مع العلم أن "تشومسكي" ميز بين الكفاية (الملكة) والآداء، وقد وافق كثير من الباحثين على فكرة التمييز وأقروها لدى "ابن خلدون" كذلك، حيث اعتبر "ميشال زكريا" « تمييز تشومسكي بين القدرة والإنجاز (الآداء) مماثلا لتمييز ابن خلدون بين الملكة اللسانية، وصناعة العربية».[2]

واهتمام "ابن خلدون" بالملكة اللسانية كان نابعا من اعتبارها خاصية إنسانية مفادها قدرة الإنسان على تحصيل اللغة وحسن استخدامها من حيث إجادتها أو إفسادها، وقد فرق بينها وبين صناعة العربية حيث يقول: « إن صناعة العربية هي معرفة قوانين هذه الملكة ومقاييسها الخاصة، فهو علم بكيفية لا نفس كيفية، فليست نفس الملكة وإنما هي بمثابة من يعرف من الصنائع علما ولا يحكمها عملا»[3]، فمن هنا نعلم أن الملكة عند ابن خلدون هي غير صناعة العربية، وأنها مستغنية عنها بالجملة.

ويقول "سالم علوي" عن نظرية "ابن خلدون" اللسانية:

« تخلص نظرية ابن خلدون اللسانية إلى التفرقة بين الملكة والتأدية، فالملكة لا تحصل إلا بالمران والمعاناة والتكرار حتى تعود صفة راسخة في المتكلم، أما التأدية فحال متغيرة غير راسخة، تسبق الملكة، وليست هذه الملكة خاصة بلسان دون لسان بل

(1) : ميشال زكريا: الملكة اللسانية في مقدمة ابن خلدون، دراسة ألسنية، ط1، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت، 1403 هـ، 1983م، ص 20.
(2) : المرجع نفسه: ص 24.
(3) : ابن خلدون: المقدمة، ص 513.

هي صفة مشتركة بين الألسن البشرية جمعاء، وفي كل الصناعات لون شاسع بين النظري والعملي، لذا نجد من يتقن النظريات ولا يحسن تطبيقها وتجسيمها في أعماله».[1]

ومثل هذا الكلام لا نجده في كتب القدامى، وإنما نجده عند علماء اللغة المعاصرين، كالعالم الأمريكي "نوام تشومسكي" الذي فرق بين الملكة والتأدية (الآداء) (La Compétance Et La Performance)، أو عند "دوسوسير" في تمييزه بين اللسان والكلام (La Langue et La Parole)، ويكفي "ابن خلدون" علما وشرفا أنه سبقتهما إلى التفرقة بين الصفتين، وعليه فهذا التمييز أو التفرقة ليست جديدة عند العلماء العرب.[2]

وذكر "ابن خلدون" في تعريفه اللغة أنها « عبارة المتكلم عن مقصوده[3] وكلمة (عبارة) يحتمل أن تكون لها معنيان، أولهما معنى المصدر (التعبير)، وثانيهما الاسم (ما يُعَبَّر به)، وما يشرح المعنى الأول قوله بعد: « وتلك العبارة فعل لساني»[3]، وعلى هذا فاللغة عنده هي قدرة أبناء هذه اللغة على الإبانة بها عن مقاصدهم[4]، وإدخال "ابن خلدون" قصد الإفادة في تعريفه يخرج منها الأصوات الانفعالية الطبيعية كأصوات الألم والحزن والفرح. وغير ذلك مما يتفوه به الإنسان دون قصد إلى الإبلاغ.[5]

وفي اكتفاء "ابن خلدون" في تعريفه للغة على عبارة (المتكلم) دليل على أن اللغة لا تنحصر وظيفتها في بيان الأغراض، وإنما تستعمل أيضا في تبينها؛ أي في الإفادة والإستفادة، وذكر المتكلم دون ذكر المستمع أمر محتمل الوقوع، لأن المتكلم يستلزم السامع بداهة.[6]

---

(1) : سالم العلوي: وقائع لغوية وأنظار نحوية، ص 144.
(2) : المرجع نفسه: ص 145.
(3) : ابن خلدون: المقدمة، ص 501.
(4) : عبد البديع النيرباني: (الملكة اللسانية عند ابن خلدون فيما دُعيَ بالمقدمة)، مجلة مجمع اللغة العربية، دمشق، مجلد 85، الجزء 4، ص 02.
(5) : المرجع نفسه: ص 03.
(6) : المرجع نفسه: ص 04.

وقد أراد "ابن خلدون" بالملكة اللسانية ما يكتسبه المرء من مهارات، فمفهومه للملكة مفهوم حي معاصر يقارب مفهوم الكفاءة اللغوية الذي ركز عليه اللساني الأمريكي "تشومسكي" في نظريته التوليدية التحويلية معتبرا هذه الكفاية المعرفة الضمنية (الحدسية) للمتكلم بقواعد لغته التي توجه الأداء الكلامي. وهو الاستعمال الفعلي المنجز للغة في سياق ما.[1]

والملاحظ أن معظم الأبحاث والدراسات اللغوية التي قام بها اللغويون المعاصرون والتي جاءت في شكل كتب أو مقالات حول "ابن خلدون" واهتماماته بالجانب اللساني كانت ترتكز أساسا على الملكة اللسانية ومقابلتها بالكفاءة اللغوية.

والتمييز بينها وبين الأداء الكلامي عند "تشومسكي"، وكانوا يجمعون على أنها متقاربة جدا.

حتى أن أحد الدارسين يرى: « بأن "الملكة اللسانية" خير ترجمة في العربية لـــ: مصطلح "الكفاءة اللغوية"، لما تبرزه هذه العبارة من تقابل بينهما وبين الأداء الكلامي».[2]

ويقول دارس آخر في نفس السياق: « إن المعرفة الضمنية الخاصة باللغة أو ما يعرف بالكفاءة اللغوية عند تشومسكي هي تقريبا الملكة اللسانية عند "ابن خلدون" التي نشأ عليها الأشخاص وطبعوا عليها، ثم تشكلت في أذهانهم، بواسطة معرفتهم لأصولها وسننها».[3]

وإذا انتقلنا إلى قضية اكتساب اللغة عند كل من "ابن خلدون" و"تشومسكي" فإننا نلاحظ أن عملية الاكتساب عند الطفل كما حددها "ابن خلدون" تكون كمايلي:[4]

---

(1): ميشال زكريا: مباحث في النظرية الألسنية وتعليم اللغة، ط1، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت، 1984م، ص 109، 110، 154، وينظر ميشال زكريا: الملكة اللسانية عند ابن خلدون، ص 06.

(2) : عبد البديع النيرباني: (الملكة اللسانية عند ابن خلدون فيما دعي بالمقدمة)، مجلة مجمع اللغة العربية، ص 03.

(3) : نعمان بوقرة: اللسانيات اتجاهاتها وقضاياها الراهنة، ص 149.

(4) : عبد الرحمان العبدان: (اكتساب اللغة عند ابن خلدون)، مجلة آفاق، الرياض، العدد 62، 2009م، ص 07.

- يسمع الطفل مجموعة متجددة من التراكيب اللغوية (يحفظها).
- يحاول أن يتكلم على منوالها (يستعملها).
- يمارس فعل الكلام (بالاعتياد والتكرار لكلام العرب).

على هذا الأساس ترسخ الملكة عند الطفل وتصبح صفة ذاتية.

وقد اهتم "تشومسكي" بقضية الاكتساب اللغوي وحاول الإسهام فيها بآرائه اللغوية وأدرك أن اكتساب اللغة لا يتم عن طريق الاستماع والمحاكاة والتكرار والتعزيز فلو كان ذلك صحيحا لتطلب اكتساب اللغة وقتا طويلا، مع أن الطفل يتقن لغته الأم في زمن قصير، ثم إن الواقع يرفض هذه الفرضية (السلوكية) لأنه ما إن يبلغ الطفل الخامسة من عمره، وربما قبل ذلك أو أكثر حتى نجده قادرا على خلق وإبداع الجمل التي يحتاجها في مواقفه اليومية.[1]

إن آراء ابن خلدون حول مسألة اكتساب اللغة تتقارب مع آراء علم اللغة الحديث، حيث تناول هذه المسألة من نقطة ثابتة مفادها أن اللغة ملكة طبيعية يكتسبها الإنسان حيث يقول: « إلا أن اللغات لما كانت ملكات كما مر، كان تعلمها ممكنا شأن سائر الملكات»[2]، وقد اقترب في رأيه هذا من رأي "تشومسكي" الذي أقر بأن اللغة ملكة موجودة في الدماغ، وبقدرات الطفل الفطرية يمكنه أن يكتسب لغته الأم.

ثم إن "ابن خلون" لما ذكر بأن اللغة ملكة جسمانية فإنه لا يختلف عن "تشومسكي" من أن للغة أصول بيولوجية.[3] ويقول ابن خلدون في هذا الصدد « والملكات كلها جسمانية، سواء كانت في البدن أو في الدماغ، من الفكر وغيره كالحساب، والجسمانيات كلها محسوسة تفتقر إلى التعليم».[4]

---

[1] : علي آيت أوشن: اللسانيات والبيداغوجيا، ص 37.
[2] : ابن خلدون: المقدمة، ص 512.
[3] : عبد الرحمان العبدان: (اكتساب اللغة عند ابن خلدون)، مجلة آفاق، ص 03، 04.
[4] : ابن خلدون: المقدمة، ص 499.

وقد نقل "عبد الحمدان العبدان" قول "تشومسكي" فيما يخص الجانب البيولوجي للغة إذ يقول: «إن دراسة الأسس البيولوجية لقدرات الإنسان اللغوية قد تثبت أنها أعظم المشارف الموجودة للعلم في السنين القادمة».[1] فمن خلال القولين السابقين يظهر عدم الاختلاف بينهما في أن للغة أصول حسيه بيولوجية.

ولقد وجه "عبد السلام المسدي" نقدا حول فكرة أن الطفل مزود بجملة من القدرات الفطرية على تحصيل الملكة اللغوية، حيث اتهم بعض اللسانيين وعلماء النفس بالغلو في هذه المسألة وأكد على أننا لا نولد عارفين باللغة من ناحية الاستعمال أو الفهم، والواقع أننا مجبولون أو مفطورون على اكتسابها، واستخدام الجهاز اللغوي لا ينحصر في تحديد الأداء الكلامي، وإنما يضم الكشف عن ما نصبح به قادرين على ذلك الأداء، والسلوك اللغوي مهارة صعبة لا يكتسبها الطفل في مرحلة قصيرة. وبهذا يذهب الناس إلى القول بأن البشر لهم استعداد طبيعي فطري لتلقي المهارة اللغوية، فيكون للإنسان بذلك ميل خلقي يحفز على اكتساب اللغة، ويجمع البعض الآخر من العلماء على الجزم بأن الميل الفطري إلى اكتساب اللغة هو من جملة وظائف القدرة الإدراكية التي تمكن الإنسان من التحصيل.[2]

وكلام العرب بالعربية أو اكتسابهم للغتهم كما يرى "ابن خلدون" ملكة وليس فطرة وهذا صحيح، فالطفل يولد ولديه القدرة على تعلم أي لغة إنسانية دون تمييز ويمكن لطفل عربي الأصل أن يتعلم اللغة الفرنسية مثلا إذا عاش في مجتمع فرنسي يتكلم اللغة الفرنسية.

وما سبق لا يختلف عن رأي "تشومسكي" في هذه النقطة، إذ يشير إلى أن الطفل يكتسب أية لغة إنسانية انطلاقا من المظاهر اللغوية الناقصة التي يسمعها في محيطه

[1] : عبد الرحمان العبدان: (اكتساب اللغة عند ابن خلدون)، مجلة آفاق، ص 05.
[2] : عبد السلام المسدي: مباحث تأسيسية في اللسانيات، ص 197.

بالاعتماد على الملكة اللغوية الفطرية التي تحول الخبرة اللغوية إلى قواعد كامنة في ذهن الطفل وذلك بمساعدة الأسرة له على اكتساب اللغة.[1]

وتجدر الإشارة هنا إلى أن "تشومسكي" كان من المشككين في إمكانية الاستفادة من النظرية اللغوية التوليدية التحويلية في تعليم اللغات، وما قدمه في هذا الجانب كان محاولة لحل إشكال الاكتساب اللغوي، لذا قامت نظريات بعد النظرية التوليدية التحويلية تدعو إلى تجاوز هذه الأخيرة التي عزلت اللغة عن شروط استعمالها؛ كان "هايمز" (Hymes) من الذين أقروا ذلك ورأى أن مفهوم "تشومسكي" للقدرة اللغوية (La Compétance Linguistice) مفهوم ضيق لا يتماشى مع اللغة بوصفها ظاهرة اجتماعية، واقترح استبدال القدرة اللغوية بالقدرة أو الكفاية التواصلية (La Compétance Communicative)، فلم تعد القدرة مجرد معرفة ضمنية لقواعد اللغة، وتوليد مالا حصر له من الجمل فقد سعى "هايمز" وأقطاب الاتجاه الوظيفي في الدرس اللساني إلى البحث عن قواعد القدرة التواصلية أو التبليغية متجاوزة بذلك القواعد اللغوية إلى استعمال اللغة في المجتمع بعد أن صار النحو التوليدي عاجزا عن ربط اللغة بشروط الاستعمال (التداول) والمتمثلة في: الزمان، المكان، المتكلم، المخاطب والوضع الاجتماعي.[2]

[1] : ميشال زكريا: الألسنية التوليدية والتحويلية وقواعد اللغة العربية (النظرية الألسنية)، ص 69.
[2] : علي آيت أوشن: اللسانيات والبيداغوجيا، ص 38، 40، 41.

3- الكفاية (الملكة) التواصلية:

إن العناية بوظيفة اللغة كأداة للتواصل يندرج ضمن الظواهر الاجتماعية، أكثر من اندراجه ضمن الظواهر الفردية، وتعد عملية اكتساب اللغة في إطارها التعليمي عملية تواصلية تبليغية بحتة، لذا كان مفهوم الكفاية التواصلية يوضح الأهداف الاستعمالية للغة داخل وسط اجتماعي وثقافي معين. وهذا ما يجعل المتكلم في بؤرة التفاعل التبليغي أو التواصلي.[1]

وتتألف القدرة (الكفاية) التواصلية لدى مستعمل اللغة كما يراها "سيمون ديك" في خمس ملكات فرعية هي:[2]

3-1- **الملكة اللغوية:** وهي قدرة مستعمل اللغة على إنتاج وتأويل عبارات لغوية في مواقف تبليغية متعددة؛ أي هي الكفاية « المتعلقة بالقدرة على إنتاج وفهم ما يصعب حصره من الجمل في مقاماتها».[3]

3-2- **الملكة المنطقية:** باستطاعة المتكلم المزود بمعارف قبلية أن ينتج معارف أخرى بواسطة قواعد الاستدلال والاستنباط؛ أي « قدرة المتكلم على أن يشتق معارف لغوية جزئية أو فرعية من المعارف التي يمتلكها، بطريقة القدرة على الاستدلال والقياس».[3]

3-3- **الملكة المعرفية:** بإمكان المتكلم أن يختزن معارفه اشتقها من معارف أخرى ويستحضرها في المواقف التي تصادفه ويحتاج إلى استدعائها؛ أي الكفاية التي « تعكس قدرة الفرد على أن يجرد مجموعة من المعارف انطلاقا من العبارات اللغوية التي يسمعها، ثم يخزنها، ويعود إليها عندما يحتاج إليها».[3]

---

(1) : لحسن توبي: بيداغوجيا الكفايات والأهداف الاندماجية، (د ط)، مكتبة المدارس، الدار البيضاء، 2000م، ص 43.
(2) : علي آيت أوشن: اللسانيات والبيداغوجيا، ص 72.
(3) : نواري سعودي أبو زيد: محاضرات في اللسانيات التطبيقية، ص 98.

3-4- **الملكة الإدراكية:** وهي الملكة التي تسمح للإنسان من أن يدرك ما حوله، ويشتق منه معارف لاستخدامها في إبداع التراكيب اللغوية وفهمها، أو هي الكفاية التي « تسمح للفرد بأن يشتق معارف مما يقع في مجال خبراته الخارجية، ليعود إليها في إنتاج كلامه وفي فهم كل ما يتلقاه في خطابات».[1]

3-5- **الملكة الاجتماعية:** وهي قدرة مستعمل اللغة على ما يقول، وقدرته كذلك على الاكتساب والتكلم في سياق تبليغي معين لتحقيق الأهداف المرجوة من التواصل؛ أي هي الكفاية التي « يقصد بها أن المتكلم لا يمكنه إنتاج الفهم، كآلية تقوم على القالب فحسب، بل يكتسب أيضا، ومن منطلق اشتراك بقية الكفايات، القدرة على كيفية القول؛ أي يتعلم إسقاط الكلام على مقتضياته، وجملة متطلبات موقف التواصل، أو كما يقول الجاحظ، أن يوازن بين الكلام وبين أقدار السامعين، فيجعل لكل طبقة كلاما».[1]

وعليه فالقدرة اللغوية التواصلية لا تؤهل الطفل لإنتاج جمل نحوية فحسب، بل تمكنه من إنتاج هذه الجمل فيما يوافقها من سياقات الاستعمال؛ أي اكتساب الطفل القدرة أو الكفاية التواصلية وهي قدرة لا تقف عند حدود معرفة القواعد اللغوية فقط، وإنما تمكن الطفل من فهم الأقوال التي يلتقطها سمعه والتعبير عن المعنى الذي يريد إيصاله.[2]

وفي ختام هذا الفصل يمكن القول بأن لكل من "ابن خلدون" و"تشومسكي" آراء لغوية دقيقة تقاطعت مع بعضها البعض في مواقف واختلفت في مواقف أخرى، مع أن "ابن خلدون" عالم اجتماع عاش في القرن الثامن الهجري، إلا أنه قدم آراء لغوية متطورة في مجال اللغة والاكتساب، وهذا واضح في تعريفه للغة.

ولعل معرفة "ابن خلدون" بعلم الاجتماع جعله ينظر إلى اللغة من منطلق ذلك العلم، لذا جاء في تعريفه للغة قوله: « وهي في كل أمة بحسب اصطلاحاتها»[3]، وهذا تنبيه

---

[1] : نواري سعودي أبو زيد: محاضرات في اللسانيات التطبيقية، ص 98.
[2] : علي آيت أوشن: اللسانيات والبيداغوجيا، ص 41.
[3] : ابن خلدون: المقدمة، ص 501.

واضح إلى العلاقة القائمة بين اللغة والمجتمع، وهذا ما يعرف في الدراسات اللغوية المعاصرة "بعلم اللغة الاجتماعي".

ثم إن ما توصلت إليه النظرية الوظيفية في نموذجها المتطور، والمتمثل في استبدال الكفاية اللغوية بالكفاية التواصلية، يقترب من تعريف اللغة الوظيفي عند "ابن خلدون" وذلك حين قال: « وهي عبارة المتكلم عن مقصوده»[1]، وهذه إشارة إلى أن "ابن خلدون" من الأوائل الذين أكدوا على الوظيفة التواصلية للغة.

ولو قمنا بإطلالة سريعة على أهم ما قدمته النظرية التوليدية التحويلية – تشومسكي على وجه التحديد– سنجد أنها نظرية ذات أسس عقلانية، أقامت اللغة على فرضيات إبستيمولوجية، كما أنها نبهت على الجانب الإبداعي في اللغة والقدرات الفردية التي يتمتع بها الإنسان في اكتساب اللغة، وجعلت اكتشاف الحقيقة العميقة الكامنة تحت السلوك الفعلي من صميم اهتماماتها، وأتاحت البحث والدراسة في مسائل مطلقة كالنظام التجريدي والذهني للغة، والكليات اللغوية ونظريات المعنى، وحقيقة المعرفة الإنسانية. إلى أن تغيرت جوانب كثيرة في هذه النظرية، ساعدت على تطورها. كما لا يجدر بنا في هذا المقام أن ننسى أن هذه النظرية تعرضت لانتقادات عديدة، لكن إطارها أو مجالها الفلسفي العام بقي على حاله ثابتا لم يتغير، وبرزت إلى جانبها نظريات أخرى في عالم البحث اللساني، تحاول النظر إلى اللغة من زوايا مختلفة.[2]

إن إقامة مقارنات لإيجاد التقارب بين اللسانيات الحديثة، والتراث اللغوي العربي قد أصبح من اهتمامات العديد من الباحثين، ولعل السبب في ذلك يعود إلى أن اللسانيات أفضت إلى نتائج عديدة، وحصيلة ضخمة من المصطلحات التي لم تجد في التأليف العربي مقابلا لها.

---

[1] : ابن خلدون: المقدمة، ص 501.
[2] : علي آيت أوشن: اللسانيات والبيداغوجيا، ص 38.

لذا حاول العديد من الباحثين ممن عرفوا بلسانيي التراث أن ينظروا ويتفحصوا ما تركه القدماء من إرث لغوي ليجدوا فيه السبيل الأمثل لحل هذا المشكل وإيجاد المرادف المناسب لهذا الكم الهائل من المفاهيم اللسانسة والمصطلحات المتطورة، وقد صدق "ابن خلدون" حين قال: « اعلم أن مما ضر الناس في تحصيل العلم والوقوف على غاياته كثرة التآليف واختلاف المصطلحات في التعليم وتعدد طرقها، ثم مطالبة المتعلم والتلميذ باستحضار ذلك»[1]. فأين نحن مما حذر ابن خلدون من ضرره؟.

ثم إن نسيان التراث العربي في الدرس اللغوي الحديث قد أدى إلى حصول قطع في تسلسل التفكير اللساني عبر حقب الحضارات الإنسانية، ونحن نعلم أن الحضارة الغربية قامت على حصيلة التراث اليوناني، لكن بمعزل عن مستخلصات ثمانية قرون عن مخاض التفكير اللساني في الحضارة العربية –وبعد ذلك عن ما كان يحلم به "تشومسكي" في إقامة نحو كلي يستوعب كل اللغات الحية– فلو أن الدارسين الغربيين انتبهوا لنظرية العرب في اللغويات العامة في الوقت الذي كانوا منشغلين فيه بنقل علومهم في عصر النهضة، لكانت اللسانيات المعاصرة على غير ما هي عليه اليوم، بل لعلها كانت قد أدركت ما قد لا تدركه إلا بعد أمد طويل حسب رأي "عبد السلام المسدي".[2]

بقي علينا أن نقول، إن التراث اللغوي العربي غني بالمفاهيم والمصطلحات اللسانية، وأفضل ما يفعله الدارس والباحث هو أن يقوم بدراسة هذا التراث في ضوء ما استجد من دراسات حديثة ومتطورة، حتى تكون المساهمة العربية في هذا الطرح مساهمة علمية موضوعية ذات امتداد أصيل، فنزع الغبار عن التراث لرؤية القضايا المتطورة التي يزخر بها سيكون مجديا عندما يكون في إطار التقنيات والمباحث اللسانية الحديثة، وهذا لإظهار الاستمرارية والترابط في الفكر اللغوي دون أي بتور تسمح بتسرب الخلل والفساد أو حتى تغيير وجهة مساره.

---

[1] : ابن خلدون: المقدمة، ص 488.

[2] : عبد السلام المسدي: مباحث تأسيسية في اللسانيات، ص 31.

خاتمة

الخاتمة:

لقد وصلت في نهاية هذه الدراسة المتواضعة حول الملكة التبليغية بين "ابن خلدون" و"تشومسكي" إلى جملة من النتائج نذكر أهمها فيمايلي:

- لقد بين البحث أن الدراسات اللسانية العربية لا تقل أهمية عن النظريات والمفاهيم اللسانية الغربية الحديثة، بل قد تفوقها عمقا ودلالة، وكان لنموذج "ابن خلدون" في نظرته للعلوم اللسانية خير دليل على ذلك.

- الملكة اللسانية مصطلح أطلقه "ابن خلدون" يتقارب مع مصطلح الكفاية اللغوية عند "تشومسكي" في إطار نظريته التوليدية التحويلية، والتي تعني قدرة الإنسان على التمكن من ناصية اللغة، فهي صفة راسخة في الذات الإنسانية.

- اعتمد "تشومسكي" في نظريته التوليدية التحويلية على "الجملة" دون ربطها بسياقاتها الاستعمالية، أما "ابن خلدون" فقد نظر إلى التركيب لا المفردة، مع مراعاة مقتضى الحال، وهو تأكيد على أن "ابن خلدون" أقر بالملكة اللسانية مع ربطها بالسياق التبليغي على عكس "تشومسكي" الذي تحدث عن الكفاية اللغوية، دون الاهتمام بالموقف التبليغي، و"ابن خلدون" هنا يقترب من الوظيفيين –أمثال هايمز– الذين استبدلوا الملكة اللغوية عند "تشومسكي" بالملكة التبليغية، وذلك سعيا منهم إلى إبراز الوظيفة الأساسية للغة والمتمثلة في التبليغ أو التواصل، وعليه "فإبن خلدون" هو الذي أشار إلى الملكة التبليغية – الملكة اللسانية خاصية إنسانية مكتسبة تحصل بالاستعداد والتعلم.

- تختلف الملكة اللسانية باختلاف الألسن، وعوامل اختلافها إثنان: أولهما جودة المحفوظ، وثانيهما كثرة الاستعمال، وعلى قدر المحفوظ وكثرة الاستعمال تكون جودة المصنوع، ونحن نقول على قدر المحفوظ وكثرة الاستعمال تكون جودة الأداء، إذا ما قارنا مفهوم الصناعة عند "ابن خلدون" بالأداء الكلامي عند "تشومسكي".

– لقد أدرك "ابن خلدون" المجالات التي تضمها اللسانيات، ووصف كلا من علم العربية، واللغة ضمن العلوم اللسانية. وهذا ما أقرته اللسانيات الحديثة، وكأن "ابن خلدون" يملك نظرة استشرافية.

– إن تعليم وتلقين العلوم واكتساب اللغات للمتعلمين يكون مفيدا ويحقق الأهداف المرجوة، إذا كان على التدريج على حد رأي "ابن خلدون" وهو في هذا قريب من الطبيعة البشرية، ثم إن قبول العلم والاستعداد لفهمه ينشأ تدريجيا، وما يضر بالناس في تحصيل العلم والوقوف على غاياته كثرة التآليف، واختلاف الاصطلاحات في التعليم وتعدد طرقها.

– البنية أو المحيط الاجتماعي له دور فعال في تحصيل ملكة اللسان، واللغات لما كانت ملكات كان تعلمها ممكنا لدا جميع الناس، وبإمكان الفرد أن يتعلم لغة غيره ويجيدها إذا عاش في مجتمعهم.

– إن ملكة اللسان هي النطق، وتحصل بالتكرار، وأن الذي في اللسان والنطق إنما هو الألفاظ، أما المعاني ففي الضمائر، وهنا يتضح أن "ابن خلدون" يعتبر الألفاظ المنطوقة ملكة، أما المعاني فليست كذلك بل هي موجودة في الذهن.

– اللغة بحد ذاتها ليست فطرة في البشر، غير أن الإنسان يملك آلية اكتسابها، واللغة خاصية تميز الإنسان عن باقي المخلوقات من حوله. وتتمثل هذه الآلية في مجموع الاستعدادات الفطرية الكامنة عنده، والتي يتعلم الطفل عن طريقها لغة أبويه.

وختاما نسأل الله عز وجل أن ينفعنا بالعلم ونور الفهم، وأن يسخرنا لخدمة اللغة، وإبراز قيمتها في الوجود الإنساني، وأن تفتح هذه الدراسة رؤية لأبحاث لغوية أخرى، ويظل هذا الجهد المتواضع قابلا للإثراء والتوسع، والله خاتم كل شيء.

ملخص الرسالة

ملخص الرسالة:

إن موضوع هذه الرسالة هو دراسة الملكة التبليغية بين "ابن خلدون" و"تشومسكي"، وهي دراسة شملت مفهوم الملكة اللسانية وما يتعلق بها خاصة في الإطار التبليغي، من خلال عرض مختلف المصطلحات اللسانية عند كل من "ابن خلدون" و"تشومسكي"، وقد جاءت الدراسة في أربعة فصول تتصدرها مقدمة، وتقفوها خاتمة.

ففي الفصل الأول تناولت ظواهر اللسان وآليات التبليغ من منظور اللسانيات، والمتضمنة لجملة من المفاهيم المتعلقة بالعملية التبليغية، وفي الفصل الثاني تطرقت لجملة من المصطلحات اللغوية عند "ابن خلدون"، وأهم هذه المصطلحات مفهوم الملكة اللسانية وعلاقاتها بالتعلم، أما الفصل الثالث فقد شمل مجموعة من المصطلحات اللسانية عند "تشومسكي" وأهمها الكفاية اللغوية، ومسألة الاكتساب اللغوي، وبعد الفصل الثالث يأتي الفصل الرابع استكمالا لبقية الفصول، وقد كان رؤية مقارنة بين آراء "ابن خلدون" وآراء "تشومسكي" حول الملكة.

وفي ختام الدراسة جاءت الخاتمة تضم جملة من النتائج التي توصل إليها البحث، وقد أردفتها بقائمة المصادر والمراجع المرتبة ترتيبا ألف بائيا.

The summary of thesis

The theme of this thesis is the study of communicative competence between "Ibn Khaldoun" and "Chomsky" this study included the defénition of linguistic competence, and its relation with communication and also different linguistic terminology of "Ibn Khaldoun" and "Chomsky", this study contains four chapter, begins with an introduction and ends with a conclusion.

In the first chapter I talk about linguistic phenomenon and the communicative mechanism according to linguistic, this later contains different definition in relation to communication, in chapter two I talk about various language terms that "Ibn Khaldoun". used on of these terminology is the definition of linguistic competences, and its relation with learning, whereas the third chapter includes the linguistic terminology of "Chomsky" specialy the linguistic competence, and language acquisition, The four chapter complete the previous chapter which is the comparision between "Ibn Khaldoun" spoints of view and "Chomsky" sones about competence.

Finally, the conclusion includes, a series of results that this thesis dealt about, and ends with a list of resources, which are ordered alphabitically.

قائمة
المصادر والمراجع

المصادر والمراجع:

قرآن كريم برواية ورش.

1*- إبراهيم خليل:

1- في اللسانيات ونحو النص، ط1، دار المسيرة، عمان، الأردن، 2007م.

2- مدخل إلى علم اللغة، ط2، دار المسيرة للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، 1430 هـ، 2010م.

3- أحمد المتوكل: اللسانيات الوظيفية المقاربة، دراسة في التنميط والتطور، ط1، الدار العربية للعلوم ناشرون، بيروت، لبنان، 1433 هـ، 2012م.

4- أبى بشر عمرو بن عثمان بن قنبر سيبويه: الكتاب، تحقيق وشرح عبد السلام محمد هارون، ط3، مكتبة الخانجي، القاهرة، 1408 هـ، 1988م، ج1.

5- تمام حسان: اللغة العربية معناها ومبناها، (د ط)، دار الثقافة، الدار البيضاء، (د ت).

6- التواتي بن التواتي: مفاهيم في علم اللسان، (د ط)، دار الوعي للنشر والتوزيع، 2008م.

7- جون ليونز: نظرية تشومسكي اللغوية، ترجمة وتعليق حلمي خليل، ط2، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، 1995م.

8- جيفري سامبسون: المدارس اللغوية، ترجمة نعيم الكراعين، ط1، المؤسسة الجامعية للنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، 1993م.

9- حافظ إسماعيلي علوي: اللسانيات في الثقافة العربية المعاصرة، دراسة تحليلية نقدية في قضايا التلقي وإشكالاته، ط1، دار الكتاب الجديد المتحدة، بيروت، لبنان، 2009م.

10- حسام البهنساوي: أهمية الربط بين التفكير اللغوي عند العرب ونظريات البحث اللغوي الحديث، (د ط)، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، 1414 هـ، 1994م.

11- حسان خلاق: مقدمة في منهاج البحث التاريخي، (د ط)، دار النهضة العربية، بيروت، 1986م.

12- خليل أحمد عمايرة: في نحو اللغة العربية وتركيبها، منهج وتطبيق، ط1، عالم المعرفة للنشر والتوزيع، 1984م.

13- رشيد أحمد طعيمة ومحمد كامل الناقة: اللغة العربية والتفاهم العالمي، المبادئ والآليات، ط1، دار المسيرة، عمان، الأردن، 1430هـ، 2009م.

14- رشيد عبد الرحمان العبيدي: العربية والبحث اللغوي المعاصر، (د ط)، مطبعة المجمع العلمي، بغداد، 1425هـ، 2004م.

15- سالم العلوي: وقائع لغوية وأنظار نحوية، (د ط)، دار هومة، الجزائر، 2000م.

16- سميح أبو مغلي: علم الأسلوبية والبلاغة، ط1، دار البداية ناشرون وموزعون، عمان، الأردن، 1432 هـ، 2011م.

17- شحدة فارع وآخرون: مقدمة في اللغويات المعاصرة، ط4، دار وائل للنشر والتوزيع، الأردن، 2008م.

18- الشريف الجرجاني: التعريفات، (د ط)، مكتبة لبنان، بيروت، 1985م.

19*- عبد الجليل مرتاض:

19- التحليل البنيوي للمعنى والسياق، (د ط)، دار هومة للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر، 2010م.

20- اللغة والاتصال، ط1، دار الحكمة للنشر والتوزيع، الجزائر، 2001م.

21- عبد الحميد مصطفى السيد: دراسات في اللسانيات العربية، ط1، دار حمورابي للنشر والتوزيع، 2008.

22- عبد الرحمن ابن خلدون: المقدمة، ضبط وتقديم محمد الاسكندري، ط2، دار الكتاب العربي، بيروت، 1419 هـ، 1998م.

23*- عبد السلام المسدي:

23- التفكير اللساني في الحضارة العربية، ط3، دار الكتاب الجديد المتحدة، 2009م.

24- اللسانيات وأسسها المعرفية، (د ط)، الدار التونسية للنشر، تونس، 1986م.

25- قراءات مع الشابي والمتنبي والجاحظ وابن خلدون، ط4، دار الصباح، الكويت، 1993م.

26- مباحث تأسيسية في اللسانيات، ط1، دار الكتاب الجديد المتحدة، بيروت (لبنان)، 2010.

27- عبده الراجحي: النحو العربي والدرس الحديث، بحث في المنهج، (د ط)، دار النهضة العربية، بيروت، 1806 هـ، 1986م.

28- عثمان ابن جني: الخصائص، تحقيق محمد علي النجار، ط2، دار الكتب المصرية، القاهرة، 1952م.

29*- أبو عثمان عمرو بن العلاء الجاحظ:

29- البيان والتبيين، تحقيق عبد السلام هارون، ط3، المطبعة الأميرية، القاهرة، 1986م

30- الحيوان، تحقيق عبد السلام هارون، ط2، المطبعة الأميرية، القاهرة، 1995م، ج1.

31- علاء الجبالي: لغة الطفل العربي، دراسة في اكتساب اللغة وتطورها، (د ط)، مكتبة الخانجي، القاهرة، 2003م.

32- علي القاسمي: علم المصطلح أسسه النظرية وتطبيقاته العملية، ط1، مكتبة لبنان ناشرون، بيروت، 2008م.

33- علي آيت أوشن: اللسانيات والبيداغوجيا نموذج النحو الوظيفي الأسس المعرفية والديداكتيكية، ط2، دار الثقافة، الدار البيضاء، 2006م.

34- علي زوين: منهج البحث اللغوي بين التراث وعلم اللغة الحديث، ط1، دار الشؤون الثقافة العامة، بغداد، 1986م.

35- كريم زكي حسام الدين: أصول تراثية في علم اللغة، ط2، عالم الكتاب، القاهرة، 1985م.

36- لحسن توبي: بيداغوجيا الكفايات والأهداف الاندماجية، (د ط)، مكتبة المدارس، الدار البيضاء، 2000م.

37- محمد عزام: الأسلوبية منهجا نقديا: (د ط)، مطابع وزارة الثقافة، دمشق، 1989م.

38- محمد محمد العمري: الأسس الابستيمولوجية للنظرية اللسانية البنيوية والتوليدية، ط1، دار أسامة للنشر والتوزيع، الأردن، عمان، 2012م.

39- محمد محمد يونس علي: مدخل إلى اللسانيات، ط1، دار الكتاب الجديد المتحدة، بيروت، لبنان، 2004م.

40- محمود فهمي حجازي: علم اللغة العربية، (د ط)، وكالة المطبوعات، الكويت.

41- مصطفى غلفان وآخرون: اللسانيات التوليدية من النموذج ما قبل المعيار إلى البرنامج الأدنوي، مفاهيم وأمثلة، ط1، عالم الكتب الحديث، الأردن، 1431 هـ، 2010م.

42*- ميشال زكريا:

42- الألسنية (علم اللغة الحديث)، المبادئ والأعلام، ط2، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر، بيروت، 1983م.

43- الألسنية التوليدية والتحويلية وقواعد اللغة العربية (النظرية الألسنية)، ط2، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، 1404 هـ، 1986م.

44- الألسنية التوليدية والتحويلية وقواعد اللغة العربية (الجملة البسيطة)، ط2، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، 1406 هـ، 1986م.

45- الملكة اللسانية في مقدمة ابن خلدون، دراسة ألسنية، ط1، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت، 1403 هـ، 1983م.

46- بحوث ألسنية عربية، ط1، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت، 1412 هـ، 1992م.

47- مباحث في النظرية الألسنية وتعليم اللغة، ط1، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت، 1984م.

48- نايف خرما: أضواء على الدراسات اللغوية المعاصرة، (د ط)، سلسلة عالم المعرفة والمجلس الوطني للثقافة والفنون والأدب، الكويت، 1978م.

49- نعمان بوقرة: اللسانيات اتجاهاتها وقضاياها الراهنة، ط1، عالم الكتب الحديث، 1430 هـ، 2009م.

50- نهاد الموسى: نظرية النحو العربي في ضوء منهاج النظر اللغوي الحديث، ط1، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، 1400 هـ، 1980م.

51- نواري سعودي أبو زيد: محاضرات في اللسانيات التطبيقية، ط1، بيت الحكمة للنشر والتوزيع، 2012.

52- هادي نهر: علم الدلالة التطبيقي في التراث العربي، ط1، عالم الكتب الحديث للنشر والتوزيع، الأردن، 1429 هـ، 2008م.

53- ابن هشام: المغني اللبيب، حققه وعلق عليه مازن المبارك ومحمد علي حمد الله وراجعه سعيد الأفغاني، ط6، دار الفكر، بيروت، 1985م.

المجلات والدوريات:

1- تمام حسان: اللغة العربية والحداثة، مجلة فصول، العدد3، المجلد 4، جزء 1، 1984م.

2- عبد البديع النيربائي: الملكة اللسانية عند ابن خلدون فيما دعي بالمقدمة، مجلة مجمع اللغة العربية بدمشق، مجلد 85، جزء 4.

3- عبد الرحمن العبدان: اكتساب اللغة عند ابن خلدون، مجلة آفاق، العدد 62، الرياض، 2009م.

4- عمار طالبي: نظرات ابن خلدون في علوم اللسان العربي وصيروته في المغرب، المجمع الجزائري للغة العربية، العدد 8، 2008م.

5- عمر لحسن: التفكير اللساني عند ابن خلدون وعلاقته بعلم العمران، مجلة المجمع الجزائري للغة العربية، العدد 05، 2007م.

6- مازن الوعر: حول بعض القضايا الجدلية لنظرية القواعد التوليدية التحويلية، مجلة اللسانيات، عدد 6، (د ت).

7- محمد عبد المطلب: النحو بين عبد القاهر وتشومسكي، مجلة فصول، العدد 1، المجلد 5، 1984م.

الفهرس

الفهـــــرس:

مقدمة	أ، ب، ج، د
الفصل الأول: ظواهر اللسان وآليات التبليغ من منظور اللسانيات.	1
في حقيقة اللغة وعلاقتها بالإنسان.	2
التواصل (الاتصال) وعوامله.	5
وظائف اللغة (اللسان).	6
نظرية التواصل (التبليغ).	9
نظرية السياق.	13
الفصل الثاني: مصطلحات لسانية عند "ابن خلدون".	21
ابن خلدون وعلوم اللسان.	22
علاقة اللغة بعلم العمران.	25
تعريف اللغة عند "ابن خلدون".	28
الملكة عند "ابن خلدون".	32
تعلم واكتساب العربية عند "ابن خلدون".	38
أنواع الملكات بحسب التعلم والاكتساب.	41
الفصل الثالث: مصطلحات لسانية عند "تشومسكي".	44
تشومسكي والنظرية التوليدية التحويلية.	45
مبادئ النظرية التوليدية التحويلية.	50
مفاهيم لسانية في نظرية "تشومسكي" اللغوية.	57
الفصل بين الكفاية اللغوية والآداء الكلامي.	62
الاكتساب اللغوي عند "تشومسكي".	64
الفصل الرابع: بين "ابن خلدون" و"تشومسكي" –رؤية مقارنة–.	68
التوليدية التحويلية بين "تشومسكي" والتراث اللغوي العربي.	69
بين "ابن خلدون" و"تشومسكي" –مقاربة وتقييم–.	73
الكفاية (الملكة) التواصلية.	81

خاتمة.	85
ملخص الرسالة.	87
قائمة المصادر والمراجع.	89
الفهرس.	

الفهـــــرس:

مقدمة	أ، ب، ج، د
الفصل الأول: ظواهر اللسان وآليات التبليغ من منظور اللسانيات.	1
في حقيقة اللغة وعلاقتها بالإنسان.	2
التواصل (الاتصال) وعوامله.	5
وظائف اللغة (اللسان).	6
نظرية التواصل (التبليغ).	9
نظرية السياق.	13
الفصل الثاني: مصطلحات لسانية عند "ابن خلدون".	21
ابن خلدون وعلوم اللسان.	22
علاقة اللغة بعلم العمران.	25
تعريف اللغة عند "ابن خلدون".	28
الملكة عند "ابن خلدون".	32
تعلم واكتساب العربية عند "ابن خلدون".	38
أنواع الملكات بحسب التعلم والاكتساب.	41
الفصل الثالث: مصطلحات لسانية عند "تشومسكي".	44
تشومسكي والنظرية التوليدية التحويلية.	45
مبادئ النظرية التوليدية التحويلية.	50
مفاهيم لسانية في نظرية "تشومسكي" اللغوية.	57
الفصل بين الكفاية اللغوية والآداء الكلامي.	62
الاكتساب اللغوي عند "تشومسكي".	64

الفصل الرابع: بين "ابن خلدون" و"تشومسكي" –رؤية مقارنة–.	68
التوليدية التحويلية بين "تشومسكي" والتراث اللغوي العربي.	69
بين "ابن خلدون" و"تشومسكي" –مقاربة وتقييم–.	73
الكفاية (الملكة) التواصلية.	81
خاتمة.	85
ملخص الرسالة.	87
قائمة المصادر والمراجع.	89
الفهرس.	

تم
بحمد الله